

نناج: المسابقة الأدبية السنوية لملتقى كتاب حول العالم الدورة الأولى ٢٠٢٤

الطريق إلى غزة الفجر الجديد

رواية مشتركة

تحت إشراف: سهر لقماري

من تنظيم: ملتقى كتاب حول العالم



ملتقى كتاب حول العالم
WORLD WRITERS AROUND THE WORLD



الجمعية
الكاتبة
غزة

الطريقة إلى غزة



اسم الكتاب: الطريق إلى غزة

تأليف: لفيف من الكتاب العرب

تحت إشراف: سهر لقماري

نوع العمل: رواية مشتركة

الرقم الدولي EBIN: 16-1-298-240615

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

من تنظيم: ملتقى كتاب حول العالم

الطبعة الأولى: 2024م / 1445هـ



دار بسمة للنشر الإلكتروني



00212771814934



دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)



Darbassma1@gmail.com



المملكة المغربية

كل الحقوق
محفوظة

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأي صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو كان، أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلا بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

الطريق إلى غزة الفجر الجديد

رواية مشتركة





الإهداء

إلى كل ضمير حي

لا زالت روحه تتنفس الإنسانية..



تنسيق وربط: سهر لقماري من المغرب

تقديم ومراجعة: وليد حسون من سوريا

قفلة الرواية: راما الملاحي من الأردن

بدعم من: دار بسمة للنشر الالكتروني

المشاركون: / الفائزون في المسابقة الأدبية السنوية

ملتقى كتاب حول العالم 2024

الفائزون بالمراكز الخمسة الأولى:

- المركز الأول: آية طريب / المغرب

- المركز الأول (مكرر): سفيان العلامي / المغرب

- المركز الثاني: مصطفى الخراز / المغرب

- المركز الثاني (مكرر): عبد الله حسن الحجازي / مصر

- المركز الثالث: علي علي علي عوض / مصر

- المركز الرابع: زكريا محمد حيدر / لبنان

- المركز الخامس: ليلي الحيمي / اليمن

- المركز الخامس (مكرر): تهاني عزب / أمريكا

الفائزون في القائمة الطويلة:

- فاطمة صلاح الدين بجة / السودان
- حسن يارتي / اسبانيا - المغرب
- نسبية رشاد أحمد محمد /اليمن
- فاطمة محمد أحمد / لبنان
- إسراء عماد أحمد العزوني / مصر
- خولة أيت بطل / المغرب
- محمد الغندور /المغرب

لجنة التحكيم:

- الأستاذ الدكتور زاهر حني / فلسطين / رئيس اللجنة

- أ. محمد زلوم / الأردن: عضوا

- أ. وليد حسون / سوريا: عضوا

- أ. ريم عبد الله / اليمن: عضوة

- أ. شهد محمد مرسي / مصر: عضوة

لجنة الفرز:

- عدنان خضر / الأردن: عضوا

- نائلة خالد مصلح / الأردن: عضوة

تنويه

أحداث هذه الرواية وشخصياتها هي من وحي إبداع كتابها

مقتبسة من قصة واقعية حقيقية

لا تزال أحداثها قائمة

قصة غزة وأبطالها

”...وإنه لجهاد نصر أو استشهاد”

” أبو عبيدة ”

لحظة...

غزة... واغزة... علمتينا أن الحياة مهما صعبت في عيوننا، فستبقى الصعاب هيّنة ما دام الأجابة بخير، ومهما انكسر فينا من قسوتها علينا فهي بريئة براءة الصفحة البيضاء تعبرها رياح الشر والقهر، تنتفض وتعود لمستقر لها، نستظل بسقف بيتها وننعم بالدفء والأمان بين جدرانها، وهذا الحيز هو كلها، وفقدان بعضه أو كله تلاش لها؛ قد تتغلب الرياح العاتيات على ورقة الحياة، لكن مهما انتفضت وتبعثر ما فوقها من سطور، ستجد لها قرارا حتما.

يد الله ممتدة إلى صفحاتنا بحكمة توجهها، لكن كما الأم أحيانا متعمدة تحب رؤية الإخوة يسارعون لمدّ أيديهم وإمساك أطراف الورقة وتقريبها لأخ لهم، طارت من بين يديه بعد انتفاض، وما أسعد القلوب بأخوة من إخاء.

السابع من أكتوبر من عام 2023، سطر أحرفا لفصل جديد في سجلّ الحياة، رغم زوابع الشر التي قضت المضاجع واستنزفت الأرواح

والمشاعر، أبت السطور إلا استقرارا من يقين بتاريخ الإنسانية، يقين في أن سنة الحياة التبديل، وأن الإنسان مخلوق لا يفهم معنى المستحيل، لأنه من طينة بقدر ما ضغطتها تشكّلت وفاح ريجها الحقيقي وصُقل فكرها المغطى ولمع إيمانها الداخلي وارتفعت قيمتها بين العالمين.

غزة... غزة... نحن في الطريق إليك، مهما رسموا من خطوط ورفعوا من حواجز، نحمل نبضات قلوبنا عليها تطيل أعمارك، وزفرات آهاتنا عليها تسمعك ضمائرنا التي أحيتها بعد ركود، نحمل إليك رسائلنا على أجنحة السلام، وداخل كل ظرف بارود أشواق يفجر حقيقة أخوتنا مهما عصفت بها المكائد والأغلال.

غزة... غزة... اجتمعنا لنحكي لك خطواتنا نحو عزك، فتقبلي نارنا المتقدة قربانا لنصرك، فلن نطفئها حتى ييزغ الفجر المأمول ونراك كما شئت لك صفحة الحياة.¹



¹ سهر لقماري / المغرب.

بداية...

بين شاهد وشهيد تنبثق الرموز أوشاما وأختاما على صدر التاريخ
وذاكرة الأجيال، ترتفع أرواح وتترفع همم، ويحكم التوقيع بدم الحرية
على ورقة الجهاد.

لا يوجد على ظهر البسيطة مخلوق إلا ويخشى الموت إلا أهل غزة
العزة، عشاق للموت والشهادة، أمهاتهم قد أرضعوهم لبن الحرية ممزوجة
بالتضحية، فكان الموت أحرى بصديق حميم ينتظرونه، والصديق يكون فرحا
في استقبال صديقه، فإنك لا ترى غزاوياً استقبال الموت وهو مدبر، بل
استقبله مقبلا هاشئا باشئا وابتسامة عريضة.

وما تشيع الشهداء إلا عبارة عن عرس من نوع مختلف فالحامل
للشهيد يعرف يقينا أنه سيحمل في اليوم التالي وما توديعه للشهيد وهو
يوارى الثرى إلا ويخبره بأنه لاحق به غداً.

الآباء هم مدارس في البطولة والتضحية فهم يتلقون خبر استشهاد العائلة بأكملها بثبات ورضى بقضاء الله وقدره لأنهم على علم بأنهم منذورون للدفاع عن القدس وأكنافها فلا يرتعش لهم جفن وإن ذرفوا دموعاً فهي دموع الفرح بنيل الشهادة وانتقالهم إلى حياة أبدية لقوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون).

أما عن الأطفال فأنا عاجز عن وصفهم فهم غير عابئين بالموت ولا مكترئين له، بل هم مهتمون بأن لا يجعلوا الآباء وذويهم أن يجدوا مشقة في البحث عنهم إذا ما تعرضوا لهمجية الاحتلال الصهيوني الغاشم فلذلك كتبوا اسماءهم على سواعدهم وعلى أرجلهم وعندما يتناثرون أشلاء متجاوزين الموت إلى الشهادة.

غزة العزة نبع الفخار، نبع الشجاعة، نبع التضحية، نبع الفداء، نبع الإباء، نبع الشهداء من اجل إرواء ثرى فلسطين بدماء الأباة ليهنأ المسجد الأقصى وكل عربي حرّ.

والغزّاويون اختاروا مسمى واحداً لأبنائهم ليعتثوا الخوف والرعب في قلوب أعدائهم الصهاينة فكانوا إن سمّوهم (عزّة)، عزّة في القلب، عزّة في الجسد، عزّة تصمي الفؤاد، وبفعل قوه اصطدام واندفاع هذه العزّة وتطير عجمة الغين لتصبح عزّة فكان هذا الاسم الذي استخرجوه من أرض الواقع فأصبح لهم عزّة ورفعة، وشموحًا، وفخارًا، وعزّة ما بعدها عزة لتنتقل من المسمّى المكاني لأرض عزّة لتشمل العالمين العربي والإسلامي ولتكون لهما عزّة وفخارًا وكبرياءً وشموحًا.

ولقد فرضت أرض المعركة أن يطلقوا على أنفسهم أسماء حركيّة ليضلّوا العدو فكانت التسميات مثل الساجد، الأنيق، ولّعت، حلل.

فالساجد انطلق سريعاً مشرفاً الأرض بأقدامه ليصل إلى المكان الذي سيلاقي به ربه فجاءته شظيّه الغدر لا مجابهة وجهًا لوجه، بل من خلف حصن حيث تحبأ العدو فوق الغيوم بطائرة (درون) بحيث لا يرى وعندما حان اللقاء مع المولى آثرَ إلا أن يعلن الشهادة بيمناه رافعًا سبابته ومن ثم أخذ وضع السجود فكان عزّة في قلب العدو وعزّة للعرب والمسلمين.

وذاك الذي أبى أن يذهب للموت إلا وهو يرقص طرباً فرحاً قافراً في
الهواء حيث أخذته نشوة النَّصر بعدما وَلَّعَ الميركافا ليعلنَ أنَّها (وَلَّعَتْ)
فكانت رسالته الإعلامية وُلِّعَتْ لتكون غزّةً في صدر العدو وعزّةً للعرب
والمسلمين.

أما ذاك الذي كانت لديه رسالة إعلاميه للعالم بأسره وما عليك يا
دويري إلا أن تحلّل بطولات وتضحيات أبناء غزّة قالمها بحميّه ورجولة حللّ
يا دويري ليتشظى جسده غزّةً في صدر العدو ويتحول من بعد ذلك غزّةً
للعرب والمسلمين.

وهاك آخرٌ يرفض أن يذهب للقاء الموت المهاب من جميع الخلق إلا
وحاله في أبهى حالٍ فكان أن شدّبَ لحيته وارتدى معطفاً اسوداً تجاوز
ركبتيه ومن خلال ركضه كان الهواء يحفُّ في جوانب المعطف ليرفرفَ كرايةٍ
ولحرصه على جمال لقاء الموت جعل القلنسوة على رأسه حاملاً قاذف
القسّام وكأنّه ريشةٌ في كف فنان فكان المقاتلُ الأنيقُ ليتحول إلى غزّة في
صدر العدو ومن بعدها إلى عزّة للعرب وللمسلمين.

أما ذاك الدحدوح وما أدراك ما الدحدوح الذي قدّم أسرته قرايين فداء مستخدماً لفظة عربية مختصرة (معلش) وترجمتها في قاموس غزّة (وكل ما قدمته من قرايين لا شيء) فكانت الصدمة عند العدو إذ بقي صامداً صابراً شامخاً فتحول إلى غزّة قاتلة في نحر العدو وعملاً فيه العزّة والفخر للعرب وللمسلمين.

ومن أراد أن يتعلم البطولة وأفانين الرجولة وآيات التضحية وعرايين الفداء ومن أراد أن يختار اسماً يعتزُّ به مفتخراً فليقرأ وليراجع قاموس غزّة والغزاويين.

شرح المفردات

الساجد: تيسير أبو طعيمة

المقاتل الأنيق: حمزة هشام عامر أبو هاشم

ولعت: عاهد عدنان أبو سته

حلل يا دويري: مهند رزق جبريل

معلش: وائل الدحدوح

العجمة: النقطة السوداء

وبين الركّام...

تسارعت خطوات أبي صلاح، متجها لبيت العم عماد أو ما تبقى منه، كانت مشاعر الفرح والأمل تمتزج في قلبه وتستحوذ على كيانه، فهؤلاء الشبان الذين قدموا من أرجاء المعمورة للذود عن القضية كانوا بالنسبة له الشرارة التي قد تضيء ظلام البغي والقهر والظلم الذي كفن غزة الحبيبة.

وصل أبو صلاح للبيت حيث استقبله العم عماد بابتسامة تحمل الود والمحبة وعينين تلمعان بالترحاب؛ دخل أبو صلاح إلى البهو حيث كان يجلس الشبان في حلقة ود تشع فيها أعينهم بالإرادة والعزيمة، تنحنح قليلا قبل أن يبدأ حديثه مع الشبان وحاول أن يجد تلك الكلمات المناسبة التي تليق بتلك اللحظة،

- "يا أبنائي"

بدأ كلامه بصوت عاطفي لكنه متزن ثم أردف قائلا:

- "يجمعكم هذا البيت اليوم لأنكم تؤمنون بقضية أكبر من أنفسكم، هذه المحبة التي تكونها لهذه الأرض تفوق كل شيء وتتعدى كل الحواجز".

توقف أبو صلاح للحظة محاولاً أن يستوعب سعادته المفرطة ثم تابع حديثه قائلاً:

"قد جئتم من أماكن مختلفة تحملون في صفحات حياتكم الكثير من الاختلاف، ولكنكم مشتركون في الروح الواحدة التي جمعنا هنا اليوم وهي روح الدفاع عن قضيتنا".

... أبو صلاح الذي عاش طويلاً وشهد من الزمان تقلبه قد وجد في هؤلاء الشبان الأمل الذي طال انتظاره. قدومهم اليوم كان إشارة تأكيد أن الأجيال المقبلة مستعدة لتحمل الراية من بعد. وبعد لحظة من الصمت نقر أبو صلاح الأرض بعصاه وقال:

- "أنتم الآن جزء من غزة يا أبنائي، لقد أضحيتم جزءاً

من قصة هذه الأرض"

ثم أردف بحماس:

- "كلي ثقة بأنكم ستكتبون فصول حكاية هذه الأرض
القادمة بكل شجاعة وبسالة وتفان"

ظل يتردد صدى كلمات أبي صلاح في قلوب الشبان،
كان هذا اللقاء تأكيداً بأن الأمل سيضل حياً وأن العهد قد
تجدد.¹

في الخارج جلبة محتشمة، طلقات نار احتفالا بالنصر، زغاريد
وصهيل خيل...

يُخرج أحد الجلوس عود أرك...

- تسمعون صهيل الخيل؟ هكذا هو صدى

فلسطين، قصتها كقصة:

قناص بارع، يجوب الأرض بحثاً عن الحيوانات الوحشية لترويضها،
يعتمد على نظرية إذلالهم وتجويعهم، نجحت نظريته بسهولة ويسر في ترويض

¹ وليد محمد حسون.

حيوانات وحشية كثيرة، من أهمها حمير وكلاب وخنازير، زوجته التي ترافقه في نفس العمل نجحت هي الأخرى في ترويض حيوانات أخرى وحشية بنظرية مختلفة تماما عن نظريته؛ تعتمد على إطلاق الشهوات بداخلهم، إضافة إلى الإسراف في الحرية المطلقة بدون قيود، كلاهما متمسك بنظريته في ترويض الحيوانات الوحشية، لم يتفقا أو يتآلفا، دائما يختلفان، يتصارعان، هو يعتقد أن نظريته فشلت في ترويض زوجته، هي الأخرى تؤكد أنها أخفقت نظريتها في ترويض زوجها وجعله مطيعا ينفذ ويلبي مطالبها، تمردت عليه، رفضت الإنجاب منه، تجاهلته، انشغلت في ترويض الخيول الوحشية التي تفضل ترويضها عن الحيوانات الوحشية الأخرى، تعرف أنواعها المختلفة وخصائصها، حظاؤها منتشرة على بعد أمتار قليلة من شرفة بيتها، لكن الصراع بين الزوجين عاد للصدارة بينهما بسبب إصراره على ترويض الحصان الجامح كما يطلقون عليه، أقسمت له بأغلظ الأيمان أنه لا يمكن أن يروضه بنظريته القديمة البائسة، تحداها، راهنها، بثقة واعتزاز بنفسها:

- ستخسر الرهان -

على الفور امتطى ظهر الحصان بتحد واضح، أخذ يكزّه وكزات موجعة في ظهره ورقبته، الحصان يجري على غير هدى بغضب جامح، فقد الزوج توازنه، سقط من فوق ظهره، أخذت زوجته تقهقه قهقهات عالية، تكررت محاولاته المستميتة، سقط الزوج من فوق ظهره مرات ومرات، وهو يمسح دمائه النازفة بإصرار وعناد شديدين:

- سأروضه، سيخضع لي ذليلاً في نهاية الأمر!

هذا الحصان يأخذ قراره من رأسه ولا يرضخ لأي أوامر خارجية

في الخفاء يحاول ترويضه دون أن تدري زوجته، يود مفاجأتهما وكسب الرهان. كان قد بدأ في تغيير معاملته له، بدل سياسة نظرية التجويع التي استعملها معه من قبل ليقدم له أفخر أنواع الطعام الذي يفضله لكسب ثقته، سيصبر عليه بعض الوقت حتى يغير رأيه، أخفى الكبراج الذي ألهب به ظهره كثيراً بعيداً عن عينيه، يقدم له ماء الشرب بنفسه، يمسح على ظهره، فك قيوده جميعاً إلا قيوداً واحداً برقبته، عادت زوجته تؤكد له من جديد:

- جينات الحرية والعزة تسري في دمائه، لن يخضع لك مهما أوتيت

من جبروت

- سأطبعه وأروضه

لم تلق لكلماته بالا، أدارت ظهرها له، اتجهت نحو بيتها قاصدة
عصافير الكناريا بشرفتها، دائما ما تنفق أمامها الساعات الطوال لتراقبها
بسعادة غامرة فتهدأ ثورتها، تستمتع بألوانها الزاهية الرائعة، تعشق غناءها
المنسجم مع كينونتها، تندمج وتتوحد معها، تنسى نفسها معها، تعيدها
للوراء، شريط حياتها يجرى سريعا أمام عينيها، تتوقف أحيانا أمام أشياء
بعينها تخص زوجها، تملكها الحيرة، تشعر بغصة في حلقها، يخرجها من
أفكارها سهيل الحصان الجامح، تنتصت بحيرة وقلق، يتواصل سهيله
الغاضب الثائر، ظنت أن زوجها عاد لتعذيبه مرة أخرى أملا في ترويضه
والانصياع لأوامره، هرولت نحوه، شعور غريب يملكها، يزيد من اضطرابها،
وقعت عيناها على زوجها المستلقي تحت أرجل الحصان، غارقا في دمائه،
عيناها مفتوحتان على مصراعها، على الفور تحسست نبضات قلبه، هزت
رأسها بأسى وحزن بالغين، الحصان الجامح ما زال يدب برجليه مزجرا في

تواصل، مسحت على رقبته بود وحنان، لم يتوقف عن ثورته، هرول بفوضى
تجاه الطريق الرئيسي الخارجي، يتعالى صهيله، يتخطى السدود والحواجز
بطريقة مُذهلة، الزوجة تجمدت في مكانها من هول المفاجأة، تباعدت
المسافات بينها وبين الحصان الجامح، أختفي من أمام ناظرها كما تلاشى
صهيله من أذنيها، أخذتها نوبة تفكير عاصفة، أدركت على التوفشل
نظريتها هي الأخرى في ترويضه.¹

وقوف...

كل أهل غزة ولدوا لتكون حكايتهم واحدة، ليعيشوا معا أو
يموتوا معا، وُلدوا ليعيشوا ويموتوا لأجل هذه الأرض؛ استشهد ياسر أعز
رفاقنا، وأكثرنا أملا بخلاص غزة، لنقرأ الفاتحة ترحما على روحه الطاهرة،
وخير ما نفتتح به مجلسنا:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

¹ علي علي علي عوض..

الرحمن الرحيم

مالك يوم الدين

إياك نعبد وإياك نستعين

اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين أنعمت عليهم

غير المغضوب عليهم

ولا الضالين

... آمين

تنهيدة...

عاش ياسر في بلاد حيث يرتفع صوت الأذان، وحيث يعرف الكل ما له من حقوق وما عليه من واجبات...

في يوم ولادته تعالت أصوات الزغاريد ونُشرت أجواء البشر والفرح، إنه مولود جديد قادم ليحمل إرث الأجداد، إنه ابن آتٍ ليقترف أثر والده ورجال بلده، اهتز الحي كلّه فرحا وغبطة وسرورا، وصار الكلّ ينشد نشيد "طلع البدر علينا..." بينما الأب جالس يرتّب أفكاره التي تخالج عقله، فيتسم تارة إذ يلقي بنظره إلى فلذة كبده، ويعبس تارة ثانية إذ يرى خارطة الطريق المرسومة عليها غَبْرَةٌ، فلا وضوح في طريق لا يدر هل سيحييه ابنه ليسلكه أم ستوافيه المنية على أياد ضارية، لا شفقة فيها ولا رحمة، إذ إن الأطفال والصبية هناك يكبرون في أعين المتفرجين فقط.

توالت الأيام وادهمت الحياة وتكالبت الظروف، وبالتالى تكدر العيش، الطفل بلغ عامه السادس ألا أشهر ثلاثة، بدأ الوعي يتسرب إلى ذهنه رويدا رويدا، فيعرف ما يجول حوله، صار عقله يتفتّح فيبادر بطرح

أسئلة كأنه شاب يافع، فعلم بعد ذلك أنّ العدو يحيط بهم من كل صوب، ويرغب في تدميرهم لحاجة في أنفسهم وأنفس الكائدين.

ذات يوم بينما كان جالسا برفقة أبيه في المنزل، سُمع صوت زعيق السيارات والدبابات، وهو الصوت الذي دأب عليه سكان المدينة، فبادر بطرح السؤال يقول:

. يا أبتى، ألن نحظى يوما براحة تقينا بأس هؤلاء؟

ضمّمه الأب إلى حضنه مشفقا عليه، وبصوت يحمل من الإشفاق والعزيمة ما الله به عليم، قال الأب:

. لا بد من النصر يا بني، فالله لا يخذل من ينصره، حتى وإن تأخر فهو آتٍ لا محالة.

. لكن لماذا نحن بخلاف الآخرين، أليس في بقاع العالم مؤمنين بالله ينصرونه سراّ وعلانية؟

أطرق الأب لثوانٍ، ثم رفع رأسه موجهًا نظره صوب ابنه، فإذا بالدموع تنسكب على خدّيه وهو مغلوب على أمره، أتعلم يا بني ماذا قال المنفلوطي ذات نهار في إحدى كتاباته؟ يقول:

. "إن اليوم الذي أشعر فيه بخيبة آمالي، وانقطاع حبل رجائي، يجب أن يكون آخر يوم من أيام حياتي، فلا خير في حياة يحياها المرء بغير قلب".

أبتُ دموع الابن إلا أن تشاطر الأب أحزانه، فصارت تنهمر، وكأني بالابن فهم المغزى من كلامه، فلا نصير ولا ناصر إلا الله، ولو أن المؤمنين على وجه الأرض كثر، لكن في وقت شدة الإخوة ومحتهم قلائل.

. بني، إن كلمة إخوة التي ذكرت في كتاب الله الحكيم، أخالها لا تسري على المظلومين مثلنا، ولا على الذين يعيشون عيشتنا أو أمرّ منها، بل يعتمدونها الآخرون فقط في وقت النصر، مغتبطين فرحين بما تحقّق، أمّا خلق الخيانة فبئس ما تكتنفه الأمم التي تنطوي تحت لواء ديننا الحنيف، بحيث يرون ويسمعون ما يحصل لغزّة، ويشاؤون أن يتحالفا مع عدوّها بطرق غير مباشرة، من أجل قضاء مصالحهم الخاصة، وبالتالي فالمتريّص

يركب الموجة ويعرف أن لا اتحاد بيننا، فيسهل عليه بذلك اختراق أراضينا
المكرّمة قصد الاستيلاء عليها وإذلال الإسلام والمسلمين جمعاء.

كانت الساعة تشير إلى العاشرة ليلاً بتوقيت فلسطين، فهمدت
لعلعة الضجيج شيئاً ما، حينها صار النوم يخالط أعين ياسر، ويخدر مخيخه
الصغير، وكان يقرأ قصة قصيرة من قصص الأطفال، ومن غريب الصدف
أن أحداثها تدور حول مجموعة من الأطفال في دول معينة، يلتفت كل واحد
منهم حول الآخر قصد تجاوز النكبات والمحن والأزمات... فنأدى الابن أباه
مبتسماً يقول:

. أبي، إن قولك التحالف بين أناس من أجل مصالحهم الشخصية
صائبٌ، فحتى هؤلاء الأطفال كتبوا تحالفا هم الأربعة، وتعاهدوا على ألا
يخون الواحد منهم الآخر، ومن سلك نهج الخيانة فهو في عرفهم خاذل
ومخذول.

تبسم الأب ضاحكاً من قول ابنه، مقبلاً رأسه ضاماً إياه إلى
حضنه، يقول:

. لا أعلم متى ستوافيني المنية، ولا أعلم كيف ولا أين سأموت،
لكن؛ عندي وصيَّتين يا بني، إن عملت بهما نلتَ رضاي. فما أمرَ طعام
العيش، وما أظلم وجه الحياة.

. سمعا وطاعة يا أبتى، سأفعل ما تأمرني؟

. الأولى: أن تواجه الغاشمين بكل عزم وإصرار على انتزاع الحق
مهما كلفك ذلك.

. الثانية: أن تتهادى معتمداً دين الله، رغبة في نيل النصر.

. لن أتوانى عن ذلك.

فإن لم تكن غزّة لنا الآن فإنّها في الجنّة.¹

حنحنة...

غزة جنة في الدنيا وجنة في الآخرة، ولا تنسوا فغزة جزء لا يتجزأ من فلسطين، غزة درعها الحامي، وحصنها الدافئ وعينها التي تحرس أقصاها وكل شبر منها.

فلسطين،

سُمُّها بلد السَّلام، بالرغم من أنها لم تلقَ السلام ولا الأمان، لم تلقَ إلا الحروب والدِّمار، بلد من بلاد الشام، ذات الياسمين والمرجان...

فلسطين بلد مثل كل البلدان، إلا أنها مختلفة بتضاريسها وموقعها على الخريطة، هكذا قالوا وهكذا احتلُّوها، لم يلقوا بلادًا فرعموا أنها لهم

وأخذوها. أما قصة معظم الفلسطينيين أنهم هاجروا البلد حاملين مفاتيح بيوتهم، حاملين بعودة قريبة، ولكن كان الحلم بعيداً..

استولى الاحتلال على كل شيء فيها، قتلوا ونهبوا وأخذوا منطقة تلو المنطقة، لم يتبق إلا منطقتين فيها فلسطينيين واحتلال في نفس الوقت وهما القدس والضفة المحتلتين. أما هذه البقعة التي قاومتهم، غزة، البقعة الطاهرة، من تدنيسهم، غزة المقبرة لأجسادهم والطاهرة من ظلمهم، إلا أنها لا تخلو من وحشتهم وشيطانتهم.. بدؤوا بالتدمير والتشريد، رُمّلت النساء ويّمت الأطفال والأولاد وقُهر الرجال، وذهبت الأموال والبيوت وذهب كل شيء، وكل هذا وكانوا صامدون إلى الآن، صامدون بإيمانهم وقوّتهم وصبرهم على تحمل ما كتبه الله لهم، صامدون أمام الاحتلال، صامدون إلى أن تطهر تلك الأرض، وتعود حرّة أبيّة بعروبيتها الأصلية، ولا يمسّها الغرب بتدنيسهم المتعطر..

لن يقف الحديث إلى هنا، بل إلى العرب التي لازالت صامتة إلى الآن على هذا الظلم السائد فيها، الظلم الذي ساد على تلك البقعة، كيف

تحمّلتُم أن تروا أطفالاً تحت الرِّكام لأيام بلا ماء ولا طعام؟ يصارعون الموت تحت الرَّماد، وبالإضافة إلى أولئك الذين ينامون بالعراء مع نسائهم وأطفالهم، أليسوا بشرٌ مثلنا..؟

في حارة من حاراتها الطَّاهرة، تقدّمت كمراسل صحفي نحو الفتاة وسألها "لماذا تبكين يا صغيرة..؟" نظرت إلي ودموعها كفيّلة بأن تنطق بوجعها وبما حدث معها..

قالت "كنا يا عمي نعيشُ في بيتٍ صغيرٍ دافئ، مطمئنين حاملين بمستقبل وأهداف كأبي إنسان حي في هذه الدنيا، إلى أن أتانا ذلك الصوت، نعم إنه صوتُ الموت قد أتى بجاني وأخذ كل الأحلام، وأخذ كل الأحباب، بصاروخٍ واحد دمّر كل شيء، كانوا جميعهم حولي ينازعون الموت تحت الرِّكام، ولم ينجوا أحدًا منهم سواي. أمي وأبي وأخي ثلاثتهم ماتوا أمام عيني، لم يكن بيدي إلا الهاتف لأتصل بالعالم، لعلّ العالم يصحوا بنجواي، إلا أنّ العالم طمسَ أذناه بالباطل والأموال.. لكن لا بأس يا عم، فنحنُ غزّة، والجميع يعرفنا بصبرنا وإيماننا، لن نركع ولن نستسلم، فالحقُّ ظاهر،

ولكن العرب هم الذين غطسوا بنجاسة الأعداء، ولكن لا بد من صحوة
تعيدهم أحياء من جديد.."

وقعتم في حفرةٍ للأوغاد، وخنتم إخوانكم، ورأوا تلك الدَّوامة من
الصمت المعتم الذي وجدوه حولكم، صمتٌ خيَّم على قلوبكم، ألم توقظكم
تلك المشاهد..؟ غزة الأحرار والثوار، غزة الجهاد والاستشهاد، باعوا
أرواحهم في سبيل الله وفي سبيل استرجاع الأوطان. هذه هي غزة، رمزٌ
وعزّة، واسترجاع بسمّة طفلة، وروحٍ وضحكة، بعد حربٍ ودمارٍ وغربة..

أضافت على كلامها"

- مهما حدث يا عمي إلا أننا صامدون فأصحاب الحق هم دائماً
المنتصرون ولو طال الزمان وطالت الغربة وحتى ولو طمسوا حقنا بأيديهم
سنعيده حياً رغم عن أنفهم، سنموت وسنعيش سنربي أطفال التحرير، هذا
هدفنا وبهذا الطريق سنسير..

الحياة عبارة عن حياة وموت فهذه سنة الحياة، لذلك فنحن لا
نخاف من شيء فإننا ميّتون، ولكن ميّتون بشرف وحق وكرامه وليذهب
الجميع الى الجحيم فنحن لا نستسلم.

سمعت أحدهم يقول: "نحن غزوة" نعم نحن غزوة والجميع يعرفنا
سنكون الجحيم دوما لكم رغم كل هذه الطائرات والمعدات، الا أنها لن
تنفعكم فالله سبحانه وتعالى معنا سينجيننا منكم بقوته، وكل شيء سيعود
مع الايام مزهراً، الدار والاشجار والضحكات جميعهم سيعودون، فلا شيء
يدوم ولا الحرب تدوم..¹

توزع شامة كؤوس الشاي، غزا عينها شعاع الشمس

فاغرورقت...

ها هي الشمسُ تشرقُ من جديد، بنورها أضاءت لنا الأفق،
أصوات العصافير وهي تغرد ترد لي روحي، وتبعثُ في نفسي السعادة،
أنفاس الصباح تدقق أنفي، وتداعب وجهي، ما أجمل الصباح!

أتذكر يومها،

¹ فاطمة محمد أحمد.

أتقدم خطوات نحو نافذة غرفتي، أو بمعنى أدق للشارع فلا مأوى ولا حائل لنا سوى قطعة القماش التي نتوارى خلفها، انظر حولي فأرجع إلى واقعي المرير، وأستفيق من وهمي الجميل، ففي حقيقة الأمر هنا لا نسمع سوى أصوات المدافع، والصواريخ، وطلقات الرصاص، لا تُطرب آذاننا أصوات البلبل، بل صراخ الأطفال، وفواجع الآباء، تضطرب الأرض من تحتنا بسبب القذائف، هنا لا تداعب أنوفنا سوى روائح الدم، والجثث الملقاة على الأرض، هذا هو منهج حياتي في هذه المدينة المنكوبة، ظلام يعلوه ظلام، دمار يتلوه دمار.

فلان استشهد، فلان مات، فلان تم أسره، فلانة مصابة إصابة بالغة، تم اعتقال عدد من الشباب، هناك مبنى تدمر، هنا عائلة تحت الأنقاض، هذه هي الأخبار اليومية التي ننام ونصحو عليها.

أنا "شامة الوائلي" بنت غزة، عشقي فلسطين، وروحي وأنفاسي القدس، حاملة أنا رغم السواد الذي أعيش فيه، أرى النور أمامي رغم الضباب الذي حولي، فبرغم ما أعيشه من فواجع وآلام إلا أنني أطمح لغدٍ أفضل، دافعي الأمل، أو من أن لكل أحد منا لوجوده حكمة وغاية عظيمة،

فهو الساعي الذي يجب عليه توصيل رسالته، هو الرسول الذي عليه تبليغ فكرته.

ما زلت أتذكر ذلك اليوم المؤلم الذي انتفض له قلبي من هول صدمته، عندما جاءنا خبر استشهاد والدي في تلك الحرب ذات الودقين، أبي الذي عاش حياته بين الكر والفر في مجابهة الأعداء، قاتل بكل بسالة كالقساور التي تنهش لحم ضحاياها نهمش أجسادهم نهمشًا.

تم اعتقاله من قبل عتبية الأعداء الظالمين، صعقنا بالخبر لكن رغم ذلك كنّا في غاية الفخر به، وبما يقدمه لوطنه الحبيب.

كسر أنوف أولئك الجبابرة المستبدين، غضب الله عليهم

هؤلاء الذين حرمونا من العيش بسلام، سلبوا منا الحرية، والأمن والأمان، أذاقونا ويلات العذاب، تجرعنا كأس الدل والمهانة، نعيش نازحين كالغرباء في أرضنا ووطننا، دمروا بيوتنا، وفرقوا بيننا وبين الأحبة، هؤلاء أعداؤنا أعداء الإسلام، والسلام، يريدون منا أن نخضع لهم بكل بساطة، أن نترك لهم ديارنا، وتتنازل عن ديننا، هيهات ألا يعلمون أن ذلك من المستحيالات؟

ما عرفونا حق المعرفة، نحن الذين لا نعلم للخوف طريق، ولا نعلم معنى الاستسلام، فالقضية قضية دين، قضية وطن، وقضية شرف.

أعيش وسط أهالي مدينتي أتألم بتألمهم، فما يصيبهم يصيبني، وما يكسرهم يكسرني، تتقطع نياط قلبي حزناً عندما أرى الأطفال في الشوارع حفاةً، عُراة، جياع، لطمتهم الدنيا بويلاتها قبل أن يعوا للحياة شيئاً، سلبتهم طفولتهم فأصبحوا كباراً مبكراً جداً، منهم اليتيم، منهم اللطيم، منهم من فقد ذارعيه، ومنهم من لديه إصابات في أماكن متخلفة من جسده جراء القصف، وأكثر ما يؤلم ذلك الطفل الذي يطالع والديه وهما يموتان أمامه وهو لا حول له ولا قوة، فقد عشتُ هذا الألم بكل جوارحي، عندما رأيت رأس أمي المتهشم تحت الأنقاض، وقد انقلع ببؤء عينيه من مكانه، منظرٌ يثير الرعب، والذعر، تقشعر لها الأبدان، لك أن تتخيل بشاعة المنظر، وفضاعة الأمر، نرجو من الله أن يمنحنا القدرة على التحمل، والصبر على كل ما يصيبنا.

أطفالاً في عمر الزهور فقدوا أرواحهم الطاهرة بعد أن مُلأت
أفئدتهم بالخوف، فها هي أختي شهد التي لم تتجاوز العاشرة من عمرها تقع
مغشياً عليها بعد أن رأت منظر أمي، لم تتحمل، من يستطيع التحمل؟

أقف حائرة بين أمي المهشمة، وأختي التي فقدت وعيها، خارت
قواي، أصابني هبوطٌ ورعشةٌ قوية، بمن استنجد؟

فالكل مكلوم، الجميع مصدومين، جزعين، فرفعتُ يديَّ استنجد
برب البرية، رب كل شيء ومليكه، هو القادر عليهم، هو القاهر فوق
عباده.

يقولون إن في كل تأخير خير، وأن عوض الله إذا أتى يحو مرارة
الانتظار، حتى وإن طال زمان الظلم، وتأخر النصر فلنا في الله ظن لا
يخيب، ضعفاء هم رغم ادعائهم القوة، أشقياء هم رغم ما يدعونه من
سعادة، لن يدوم عهدهم فلكل شيءٍ نهاية.

مهما طال الظلم، ومهما اشتد الألم، ومهما وصل بنا المطاف إلى
طريقٍ مسدود لا يرضينا السير فيه، فلا بأس لأن النهاية جميلة مهما كانت

قباحة البداية، ليس كلامي، بل هذا وعدٌ من ربِّ البرية، " فإن بعد العسر يسر، إن بعد العسر يسر " النصر آتٍ لا محالة.

تمت مراسم الدفن بالطريقة التي ترضي الله، تعايشنا مع الأمر لأن أحداثها باتت لا تنفك منا فهي مكررة فقط تختلف وجوه الضحايا، تكالبت علينا الهموم والمتاعب، لكن هذا درسٌ من رب الناس، هذا بلاءٌ من عند العزيز الجبار، علينا الصبر لا السخط، فدارنا هناك في جنة الفردوس الأعلى.

اقشعر بدني ذلك اليوم الذي حاول فيه ذاك اليهودي سرقة أعلى ما لدي مني، عندما حاول تلويث طهارتي، قاومت بكل ما أوتيتُ من قوة، يريد أن يسلب شرقي وسمعتي، يريد أن ينهك عرضي، صرختُ بأعلى صوتي، أتى المغيث ليغيثني، ضربه ضربةً قوية، ضربة رجل غيور على عرضه، دافع عني أخي وساعده شباب الحي، إلى أن أردوه قتيلاً، لم يرضى اليهود عن ذلك، كيف يقتل واحداً منهم، لن يسكتوا، اعتقلوا كل الشباب البواسل بما فيهم أخي الوحيد، ذنبهم أنهم دافعوا عن عرضهم، وشرفهم، ضربوهم، عذبوهم، منهم من مات، ومنهم من أصيب بإصابات بليغة،

فقدت أبي وأمي وها أنا الآن أفقد أخي، لم استطع التحمل، أنظر إلى أخواتي الصغيرات فأرى الخوف في أعينهم، تماكنت نفسي حتى أكون لهم السند بعد الله، فأنا العائل لهم بعد أن فقدنا العائل، شكونا إلى الله ضعفنا فالقوة منه وحده.

تجعلنا الحياة كالطود ثابتين نتحمل كل تأثيراتها، وتقلباتها، وتغيراتها، وصراعاتها، ومع ذلك نبقى صامدين لا يهز لنا بدن، فلنا الله وليس لهم أحد.¹

دمعة حسرة سالت من عين عمر التي ما حادت عن

شامة الباكية...

أجل يا شامة، كلنا عاش ما قيل عنه صباح، ينيره نفس ضوء الشمس الساطع من مشرق وعلى أصوات عصافير تزين جوه، كان كابوس صواريخ متطايرة فوق البنايات من شمال غزة إلى غربها، ومن جنوبها لشمالها... هي بداية السابغ، بداية جحيم الغزوي، مات الآلاف في

¹ فاطمة صلاح الدين بجة.

حرب جعلت منا نازحين من الشمال مرّة نحو الغرب ومن الجنوب نحو الشرق، سألت أبتى عن الأحوال في قطعة الأرض فأخبرني:

- "لا تخف يا ولدي فهناك رجالٌ يحاربون ليلاً ونهاراً من أجل كرامة العربي والغزويّ والفلسطيني؛"

أجبتُ بفخريّ: "أبتِ ما حالُ الشهيد رضيعاً في المشافي؟ وهل دوري قريبٌ لأصبح رجلاً كالمقاوم؟"

نظر إليّ بشغفٍ وفرحةٍ ثم قال: "الله الله يا عمر! قد أحبّ الله الشهيد دفاعاً عن أرض الأحرار، وها بني يريد أن يموت في سبيل أرضٍ اغتصبت من قبل صهيونٍ ادعى حقاً ليس له..."

مرّت أيام الحروب والصواريخُ تمرّ مرّة فوق المباني، ومرّة تصيبُ جمعاً يحتبئ في الكثير من الأبرياء، أصوات الانفجارات لا تنتهي.

رحنا نحو الشمال حيث قيل لنا هناك أملُ النجاة من صاروخٍ قد يصيبُ مكاننا طيشاً من يد صهيونيّ يفتخرُ بقتل الأبرياء.

في طريقنا نحو الشمالِ صدمنا بوابلٍ من الرصاصِ يتطايرُ نحونا
كوابلٍ حجارةٍ تسقط من السماء، مات أبي وماتت عائلتي برصاصِ
الصهاينةِ بقيتُ وحيداً في أرضٍ كثرت فيها جثث الأشخاصِ طفلاً عجزوا
نساءً...

يا لغرابيةِ المنظرِ، ويا للعجبِ من أسأله عن حالِ غزّة وأنا أعيشُ
فقدانِ العائلةِ بغدرٍ من صهاينةٍ...؟

من أتحدثُ إليه ليخبرني بالأوضاع من كان قدرهم مثلي؟

من يستطيعُ أن ينقل خبراً للقادمين من هذا الطريق، ألا تأتوا فقد
نصب العدو كميناً ليطيح بالبريء ويقتل الغزوي؟

ما توقفت دموعي أبداً لنظرةٍ إلى عائلتي التي اخترقت جسدها
رصاصاتُ الصهاينةِ وكيف لي أن أحمل جثامينهم للمقبرة من أجل الدفن؟

كيف سأخبرهم أنني بقيتُ هنا لا رحيمًا بي ولا ناصرًا لي سوى
ربي، فُتحت عُيونُ من لِيُنقذَ آلاف الأشخاصِ مثلي؟

مرّت الأيام في حالٍ يرثى له في كلّ لحظةٍ أنشَلُ الذباب عن
جثمان عائلي التي بدأت اجسامهم في التحلل من طول الزمن دون دفنٍ
يخفي؟

ذات يومٍ كنتُ مستلقيا أمام جثامين عائلي وإذا بعيني تلمخُ
شخصا متجها نحوي لباسه عربيّ غزاوي يخفي وجهه بكوفيةٍ. أسرعُ
نحوه قبل أن يصل إليّ لأرجوا منه مساعدتي في دفن الجثامين التي ماتت
غدرًا من صهاينةٍ إن أوّمنوا روحا فرطوا بها بدمٍ باردٍ.

اقتربُ منه ثم قلتُ:

- "عماه يا عماه، لقد أخبرني والدي عنكم وعن شجاعتكم وعن
ظفركم وبسالتكم في الدفاع عن حقّ المغتصبِ، فيا عماه رجوتك في أن
تساعدني في دفن عائلي وإخواني الذين ماتوا بغدرٍ صهاينةٍ ما أوّمنوا إلا
وخانوا..."

اقترب مني ببطء ثم وضع يده على رأسي وبدأ يمسخُ ثم قال:

- " ما شاء الله عليك أيها الغزاوي، يا خير طفلٍ ولد في أرضٍ
تعاني ألما منذ سنين، وما شاء الله على روح الدفاع والبسالة التي ميزتك
يا صغيري... "

ثم أضاف:

- " دعنا نهتم أنا وأنت بدفن جثامين هؤلاء الأبرياء ولنضع لكلِّ
منهم شهيدًا على قبرهم ليتعرّف عليهم عائلاتهم إن بحثوا عنهم. "

سررتُ لكلماته ولمساعدته ما خاب ظني يا أبتى ما خاب ظني
فيما كنت تحكيه لي عن الرجال في وطني المغتصبِ:

حقّ القائلُ في غزّة؛

رجالها بألفِ رجلٍ من الصهاينةِ

ورغم قلة أعدادهم

ورغم ضعفِ بنياتِ أماكنهم

ورغم الدحضِ الذي يتعرضون له

يقاومون بكلّ بسالةٍ ميزة الرّجل

المقاوم.

رجالٌ بألفٍ من الخونةِ

وبئاعي أرضهم بالقليل...

دار بيننا حديثٌ مطوّلاً عن حالِ غزّة حين كنا نعمل على حفرِ
القبور لكلّ أولئك الشهداء فقد أخبرني عن حال الملايين الذين يموتون في
الشمال والجنوبِ بسبب الجوع وقلة الطعام، وعن أولئك الذين يصارعون
الحياة من أجل لقمةٍ رغيّفٍ وما من منجدٍ ولا مواردٍ لحاله.

كيف لمن يعدّ عربيّاً قد يتفانى عن قضيتِهِ وعن المذبحة التي تقتلُ
ألافًا من الأطفالِ والنساء والعجائزِ في غزّة في أرض الأحرار.

لا منهم من اقترح حلاً للخروج من الأزمة ولا منهم من مدّ يد
العونِ برغيّفٍ للغزائويّ.

فقدت عائلتي في غدر الصهاينة وعشتُ وحيداً لأيامٍ رفقة جثثهم
أنتظر أن يأتي أحدٌ لمساعدتي في دفن أولئك الشهداء فكان رجلاً واحداً
من ألفٍ ساعدني .

أين العروبة؟

وأين رجالُ العربِ في الدفاع؟¹

- اهدأ يا أخي...!

طفل كالقمر هزته صرخة عمر، كان هائماً في الصمت بحجر
أدهم، عيناه الزرقاوان كأن الزمن توقف فيهما، مسح أدهم على رأسه
ناظراً إليه بعمق واسترسل...

¹ محمد الغندور

في طيات الحزن المتراكم وعلى أسوار الجسور المتهاونة، ما زلنا
ندويّ بصراخاتنا التي وصلت إلى ذروة الضنك والإعياء، لم يكن بمقدورنا أن
نضمّره في نفوسنا، لكن أقدارنا أفصحت به لغيرنا، كان علينا أن نمتطي
صهوة أحلامنا بزيفٍ من واقع مكدرّ بالأمان وعلى الرغم مما يحدث لنا،
مازلنا نأمل بأن يد ما ستسّمك بنا إلى بر الأمان الذي نرجوه لنا ولأجيالنا
القادمة من بعدنا، ومازال الأمل بالله، ومن بعض بقايا إنسان ينبض فيه
ضمير حي مُستتر.

انظروا للفتى...

تكالبت عليه المصائب وتكدّست كأثما بضاعة مُتكدّسة منذ زمن،
جاءت كلها تترى واحدة.

لم يعلم ما الجُرم الذي أقترفه حتى يُصاب بذلك المصُاب، حاول أن
يفتح عينيه بكل قوته رغم صغر سنه وجد ما لا يتحمّله عقل طفل صغير
في عمره لكنه كان أكبر من تلك الواقعة ذاتها.

تسمّرت عيناه للمشاهد التي رآها، لم يتخيل يوماً أن حياته
ستكون هكذا، فقد وجد نفسه مقذوفاً في الشارع بعد القصف الهمجّي
لمنزله ليجد أمه غارقة بالدماء، ليناديها بصوته الصغير المبحوح بوجع مكبود
ودمعٍ مغلوب قائلاً لها:

- "أمي أرجوك، استيقظي، لنذهب من هنا، أمي..."

كان يصرخ بشدة، لم يعلم أن أمه قد فقدتها للأبد بعد أن فقد أباه الذي لم يره منذ أن وُلد، انتحب في بكاء غائر بصوته الرخيم الصغير.

زاد في هلعه أصوات الصواريخ الإسرائيلية والقذائف المحلقة في السماء التي غيّرت لون مدينته إلى بحر من الدماء ورائحة البارود المرتمية هنا وهناك وكأنها فقاعات أفرح تُرمى بعبثٍ على دُمى دون ضوابط أو احتراز، وعلى مرأى ومسمع من العالم أجمع، كان مشهد لم يستطع فهمه بعمره الذي لا يتجاوز السادسة، فقد كان هو الناجي الوحيد بعد إبادة مدينته بالكامل، كان يحاول أن يستوعب ما الذي يجري حوله.

خرج من غيبوبة أفكاره المشتتة، حاول أن يجمع شتات نفسه ليحميها، أخذ بجلايب نفسه وابتعد عن المكان رغم مرارة الوجد والفقد، انطلق مُهرولاً لا يعرف أين سترميه الأقدار المؤلمة، لكنه كان يمشي هرباً من الموت، أو من ذنب لا يعلم متى اقتطفه هو وعائلته وأهل مدينته.

مسح دموعه بيديه المملطختين بدماء والدته التي تلمسها أثناء بكائه عليها ليزيد ذلك المشهد دُعرًا وتوجسًا في قلبه، حيث حين كان البرد قارس وقتها، وقد عسعس الليل فيه وصار أشد غيَهب من أي ليل سابق، وفي

طريقه وهو ماشٍ وجد رفيقه الذي كان يلعب معه، فقد كان صديقه
المفضل، وجد رأسه دون جسده، فأجهش بالبكاء وأرتعد، لم يشعر ساعتها
إلا بالفزع والهلع،

- "أهو كابوس أعيشه؟"

كان يسأل نفسه ذاك السؤال، فمدينته بالكامل أصبحت أطلالا،
أمه، أصدقاؤه، جيرانه، منزله، كل شيء بات مجرد أشلاء وخراب.

انطلق على عجلٍ، بعد أن سمع صوت دبابة ضخمة من بعيد
وكأنها تلاحقه وأضواؤها مُسلطة عليه، حاول أن يخبئ في أي زاوية علّها لا
تدركه فتقضي عليه، لكن رحمة السماء أتت لتُنجيه من ذلك الموقف حين
تنبّهت الدبابة بوجود سيارة تمشي على الطريق المعاكس لها، فأخذت
الدبابة تنشغل بتلك السيارة عنه واتجهت بسرعتها القصوى وعنفوانها
لتهدم بعض الأبرياء القابعين فيها وثبقي البعض منهم لتعتقله، شاهد
ذلك المشهد وهو محتبئ خلف شجرة ضخمة كاتمًا أنفاسه بيده المليئة
بالدماء وعيناه تسكب الدموع حتى بللت ثيابه، رأى تلك المجزرة الدموية
بامتياز وكأنه مسلسل رعب يشهده، لكنه واقعي تلك المرة.

ليتنفس الصباح بعفونة الدماء وكربون الصواريخ ناقلاً أنفاسه المتعفنة بأفاته لمن حوله من البشر ليزداد الوضع أكثر سوء على صغير بعمره، لم يتوقع أن يحيا بعد ما عاشه في تلك الليلة إلا أنها مشيئة الله.

نخض من مخبئه وترجل ماشياً ليرى أخيراً مجموعة من الخيام منصوبة على بُعد أمتار، كان يلهث بأنفاسه التي يحاول أن يلتقطها ليصل لذلك المكان، وبعد وصوله كانت روحه تلهث بقوة أمسك بيدي مستغرباً من لهته المتواصل وقبل أن ألفظ بأي سؤال فياذ به يقول: "أنا جاي... " وقبل أن يكمل جملته، التقطته من مصير مجهول ومستقبل مكبول بعد أن نُزعت الرحمة من قلوب البشر.

صُعقت من سقوطه في يدي منهكا من الجوع، لم يكن بوسعي إلا الصراخ وعيني حُبلى بالدموع رافعاً رأسي للسماء قائلاً بتأوهٍ ممزوجٍ بقهر الرجال:

"نحن متعبون يا الله، متعبون يا الله... " ¹

¹ ليلي الحيمي.

صدر فجأة أنين من دمية ريم بعد أن ضغط عليها عبد الله
بقبضة نائر مثقل بدمع الحزن والفرح..

- لمن الدمية؟

- إنها لريم...

عندما صارت ريم وحيدة، كانت هذه في يدها.

لم أدري ماذا أفعل؟

صدري يمتلأ غما وحزنا وضيقاً وأنا لا أطيق مشاهدة قتل الأطفال
والنساء وكبار السن!

أصبت بالاكئاب حتى اختنق صدري، فذهبت للطبيب النفسي
فقال لي:

- علاجك هو أن تباعد عن مشاهدة كل ما يتعب نفسك ...
اذهب للصلاة والدعاء، وهذا ما عليك فعله الآن.

- أهكذا هو علاجي؟! -

خرجت من عند الطبيب وأنا حائر أبحث لي عن مكان ينسيني هذا فليس لي حيلة أخرى إلا الدعاء.

سرت في الشارع أشاهد الأطفال ضحكاتهم وسرورهم وهم يمرحون. أخذتني نفسي لأطفال غزة فذهبت للمسجد أصلي؛ رأيت الشيخ يناشد الناس بالتبرع لغزه، فأخرجت من جيبي مالا وضعته في الصندوق وأنا من داخلي اشعر أن ذلك غير كاف حتى الدعاء الذي دعاه الشيخ شعرت أنه غير كافي لأن الدعاء يحتاج لعمل.

خرجت من المسجد، وعدت للمنزل.

دخلت شقتي وفتحت قنوات البث وفوجئت بطفله لم تتعد السادسة من عمرها كانت تبكي بحرقه.

الطفلة اسمها ريم، صارت وحيدة بعد أن فقدت أسرتها كلها أمسكت محمولي والتقطت لها صورة ووضعت المحمول في جيبي وخرجت من

شقتي وأنا لا أرى أمامي إلا صورة ريم وهي تبكي، سرت في طريقي لا
يوقفني أحد، ركبت المواصلات وأنا أنوي عمل شيء واحد يريحني.

فانطلقت في سفر بعيد أرهقني إلا أنني لم أستسلم، لأن الغزوية
يعانون معاناة أشد ويتحملون صعابا أكبر.

وصلت المعبر "معبر رفح"

نظرت للمعبر وعقلي يفكر ويدبر طريقة للدخول لغزة.

فالحركة في المعبر دائبة والحراسة في كل مكان... ترى كيف أدخل؟

نظرت لشاحنة كانت تتجه للمعبر لتدخل وهنا جاءني الفكرة
... فكرة الدخول.

انطلقت بسرعة وأوقفت سائق الشاحنة وحاووته وتوسلت له ان
اركب معه فأخبرني أنه ممنوع ولن يسمح له بدخولي.

لم أياس وأغفلت السائق وأمنت المكان ثم تعلق خلف الشاحنة
وحاولت فك حبال القماش المشمع الذي يغلف الاحتياجات التي فوق
الشاحنة.

وبعد محاولات عدة فككت الحبال، ووجدت مكانا بين الكراتين،
مكان لا يكفي لشخص طويل مثلي إلا أنني نظرت لمعانة إخوتنا في غزة،
وحشرت نفسي واندسست بين الكراتين ومددتُ يدي لأعيد غطاء
المشمع.

سارت الشاحنة للبوابة ثم توقفت للتفتيش، حبست أنفاسي
وضغطت على جسمي وأنا ادعوا الله ألا يروني! أخذ قلبي يدق ويدق
والعسكري ينظر قبالي أو كما هيئ لي.

حمدت الله بعد نهاية التفتيش وأنا مكاني إذ لم يبرني، وانطلقت
الشاحنة...

صرنا في الطريق لغزة؟

يا إلهي ممكن؟!!

سارت الشاحنة، وكلما اقتربنا أكثر ارتجف قلبي، لا خوفا ولكن

سعادة.

سمعنا أصوات طائرات تمر وبعدها فاجأنا بصوت انفجارات كانت قريبة منا فالعدو الصهيوني لم يتوقف عن القتل والتدمير؛ خشيت أن نصاب بقذيفة توقف حركتنا ويقضى على الشاحنة التي فيها بعض احتياجات الغزيين.

سارت الشاحنة في طريق جبلي ممتد، وأخيرا وبعد معاناة سمعت توقف الشاحنة وأصوات أناس تتحرك، كشفت الغطاء الذي يغطي الشاحنة ونظرت للمكان، كان مكانا لمنظمة حقوقية، وكانت تقف فيه أكثر من شاحنة، ورأيت الرجال والنساء، والأطفال كانوا مصطفىين ليحصلوا على المعونة، ومددت يدي وانهمكت في تنزيل الكراتين، وكم أسعدني هذا العمل جدا وأنا أرى السعادة والفرحة تقفز من عيون الناس وهم يأخذون ما يسد رمقهم وينطلقون به إلى خيامهم.

انتهينا من إنزال الشاحنة وتوزيعها، ونظرت حولي ثم قفزت منها وأنا أضع أمامي هدفا أريد تحقيقه: " ريم " .. ترى كيف أعثر عليها وأين أجدها؟

تقدمت من رجل فلسطيني وفتحت المحمول وأريته صورة ريم، ولكنه نفى معرفته بها، تركته وأخذت أسأل كل من أراه عن الطفلة ريم، وما زلت سائرا أتقل من مكان لآخر حتى وصلت لمركز شفاء كبير، وهناك رأيت سيارات الإسعاف تنقل المصابين والجرحى للمشفى الكبير المزدحم بالناس والحالات الكثيرة.

دخلت المشفى وتعاونت في نقل المصابين والجرحى، كان معظمهم أطفال وفيهم من فارق الحياة.

أخذت أنظر في الأسرة لأتحقق من وجوه الأطفال الجرحى والمصابين لعلي أرى ريم وسط هؤلاء، ولكن تملكني اليأس في البحث عن ريم، وهممت بالخروج من المشفى إلا إنني توقفت على سرير متحرك بيد مسعف عليه طفل مسجى على الفراش وخيل إلي أني أرى ما أبحث عنه

إنها ريم!

كم أسعدني ذلك جدا، تقدمت من المسعف الذي يجري بالسرير وسبقته في الجري وأنا أقول له إنها تمنني، نظر إليّ ولم يتكلم.

وصل المسعف بريم إلى سرير داخل عنبر، ووضع فيه ريم وتركها
ومشى، كانت ريم تتألم وهي تنزف، وتقدمت منها في هدوء ووضعت يدي
أمسح جبينها وأنا من داخلي تختلط في مشاعر الفرحة عند رؤيتها والحزن
لأجلها. قلت لها:

- يا ريم لقد جئت خصيصا لأجلك، أعلم أنك وحيدة، فقدتِ
أسرتك كلها ولم يعد لك أحد، ولكن لا تحزني، فأنا وغيري كثير لك آباء،
المهم أن تقومي بخير وسلامة.

نظرت لي ريم ومدت يدها لي، فشددت عليها وأنا انظر لها.

ابتسمت ريم وهي تحاول التقاط أنفاسها، وتقول بصعوبة: أمي
وأبي وإخوتي سبقوني إلى الجنة، أنا يا عمي بعد قليل سألحق بهم، هم
ينتظرونني هناك، أنا سأذهب إليهم حالا... وأوصيك يا عمي بفلسطين
والقدس خيرا، لا تضيعوها، حافظوا عليها، نحن نموت هنا لأجل أن تعيش
هي وتبقى فلسطين حرة مستقلة.

أنهت ريم كلماتها وفاضت روحها لبارئها، وهي تدافع عن قضيتها. وضعت يدي عليها أمسح وجهها وأنا أقول لها: أنا منذ الآن يا ريم مشروع شهادة، جئت هنا لأجلك ولأجلها.¹

- لقد كنت هناك عندما كنت تساعد في توزيع المعونة،

وأنا مثلك...

كان يفجعني ما يحدث لإخواننا بغزة، ما يحدث لكل أخ وأخت، ما يصيب الأطفال وما يوجع النساء ويقهر الرجال، لا أعرف كيف لي أن أقدم يد العون في ظل هذه الظروف، أتمنى لو كنت طبيبة فأذهب لأداوي جراحهم، أو ذات منصب فأنصرهم، لربما مقاتلة أفتك بالأعداء، لكني كاتبة أقسمت ألا تحف أقلامي عنهم مادامت دماؤهم تسيل، سأكتب مادامت جراحهم تنزف.

¹ عبد الله حسن الحجازي.

كنت أشعر بالكثير من القهر، فكيف لي أن أنقذهم، كيف أستطيع أن أخفف عنهم، فكرت كثيراً بطريقة للوصول، ولكن ماذا سأفعل بعد الوصول؟!

كنت أتخيل اليوم الذي يصبح من المسموح فيه بالولوج إلى غزة لمن يريد، لأنطوع في إحدى المؤسسات وأقدم المساعدة قدر استطاعتي، غادرت مع الفجر من الإسكندرية متجهةً إلى مدينة العريش ومنها للمعبر لأقوم بعمل كافة التنسيقات اللازمة للدخول عبر معبر رفح البري، تستهلك تلك التنسيقات الكثير من الوقت والجهد، الآن جل ما يشغلني هو كيف سأعاونهم بعد دخولي؟ كيف سأكون ذات نفع لهم؟

انتهت الإجراءات وحن وقت الدخول، وها هي أقدامي تطأ حدود غزة، رائحة الهواء هنا مختلفة محملةً بعطر الشهداء، الأرض مختلفة وكأنها ما قبل الجنان، فما يحدث على هذه الأرض يكاد يجعل المرء يتخيل كيف سيكون يوم القيامة؟! كيف بأهواله إذا هذه في الدنيا فكيف أهوال الآخرة؛ أقسمت أن أنقل الصورة بأسلوبي، اتجهت إلى بيت إحدى صديقاتي من أهل غزة قررت المبيت عندها هذه الليلة وسأباشر عملي في

الصباح، لم أستطع النوم مباشرة رغم التعب الشديد جراء السفر والانتظار لساعات فأصوات الطائرات مزعجة والقصف لا يتوقف، ما يحدث هنا مرعب لا يمكن للمرء تحمله، يشق عليّ ما يحدث بالأطفال، نعيش في عالم جل ما به كذبٌ خرقاء اخترعها مجرمي الحروب، ويتحمل إخواننا هنا شتى أنواع العذابات والتدمير مما لا يمكن التأقلم معه أو حتى مع صورته، كيف للعالم أن يكون متعجرفًا بهذا الشكل، كيف له أن يكون منافقًا كذابًا وخدولًا لهذا الحد؛ أخذتني هذه الأفكار جيئة وذهابًا وأصوات القصف تتخللني بين فترة وأخرى، نمت بعد جهدٍ شاق وعدة محاولاتٍ فاشلة.

استيقظت صباحًا وغادرت متجهة إلى حيث العمل، بدأنا بتوزيع بعض المساعدات على الأهالي في الخيم، كنت أرى في عينيهم العزة والكبرياء، لم يكن من السهل عليهم وضعُ كهذا، كنت أحاول مواساتهم قدر استطاعتي، كنت أحتضن الأمهات والصغار أبكي معهم وألاعبهم، رأيت فيهم الحزن والألم، رأيت القهر يتجلى على محياهم الباسم، كما رأيت جل أنواع الأحاسيس والمشاعر، لكنني لم ألمح قط نظرة الجزع وعدم الرضى بقضاء الله وقدره، كانوا مثلاً للصبر والتجملد رغم إرهابهم الشديد، كانت

الأوجاع تحيط بهم من كل حذب و صوب، انهارت قواهم الداخلية لكنهم مازالوا يتصبرون مؤمنين بنصر الله ووعدته الحق في انتظار الفرج.

رأيت الأطفال واقفين في طابورٍ طويلٍ في انتظار حفنة من الطعام يتصبرون بها على جوعٍ لا يطاق، أخذت أضغ هذا وذاك وأتحدث إليهم وألاعبهم، تمنيت أن أحضن جميع أطفال غزة، وأن أواسي كافة الأمهات.

وجدت فتاة صغيرة يبدو من شكلها أنها في الرابعة من العمر، كانت نظراتها تحمل من الأسى والحزن ما يحمله رجلٌ رشيد ذاق من مشقات الحياة ما ذاق، اتجهت إليها وتحدثت معها:

- ما اسمك يا صغيرتي؟

- اسمي رهف.

- كيف حالك يا رهف؟

- بخير والحمد لله.

- كم عمرك؟

- أنا في السادسة.

تحدثت إلى نفسي: تبدو أصغر بكثير!

- هل تنتظرين الطعام.

- نعم.

- تعاليّ معي.

أخذت الفتاة وتوجهت إلى أحد الأصدقاء من المتطوعين ليقدم لها الطعام، لأرى نظرة الفرح في عينيها وهي تخبرني بأنهم لم يتناولوا شيئاً منذ ثلاثة أيام.

أطفال ولم يتناولوا شيئاً منذ ثلاثة أيام وغيرهم منذ أكثر من أسبوع بعضهم تحول لكتلةٍ من الجلد والعظم، ويلقي العالم ببقايا طعامه في القمامة ولا يدركون لكم سنحاسب على النعم، ولكم سنحاسب على هذه الطفولة المهذورة والجائعة.

ذهبت مع الفتاة وأنا أتحدث إليها لأجد أنها تعيش وحدها برفقة أختيها؛ فالأكبر منها تعاني من إصابة في القدم ولا تستطيع الحراك والأصغر

منها ذات الأربع سنوات تعطني بها، طفلةً في سنواتها الأربع تعني بأختها ذات التسعة أعوام وقد فقدوا أمهم وأباهم ولم يتبق لهم سوى عناية الله ولطفه بهم.

أرى فيهم إخوتي وأطفالي، شعرت بأنهم قطعة من قلبي وقررت تبنيهم، ولكم أتمنى أن أتبنى جميع أطفال غزة أن أحتضن أوجاعهم وأخفف من مصابهم، لا أعلم ما هي الإجراءات اللازمة لذلك لكنني سأقوم بما على أية حال وسأتكفل بهم.

انقضت الفترة المسموح لنا بالبقاء فيها على أرض غزة، سيعود هذا الوفد الآن ولا أعلم ما سيحدث بعدها، لقد أنهيت كافة الإجراءات والتي كان من الصعب التعامل معها في ظل هذه الأوضاع، أنا الآن عائدة إلى بلدي مع أطفالي سأقدم لهم كافة أشكال الحب والرعاية، سأريهم على حب بلادهم سأخبرهم دائمًا أن والديهم وجميع أهل غزة وفلسطين هم أبطال هذه الأمة.

تمنيت أن أقدم لأهل غزة ما هو أكثر من بعض مساعدات وتنظيمات فواجبي كمسلمة يحتّم عليّ ذلك، أن أبذل كل غالٍ ونفيس من أجلهم، تمنيت أن أرفع عنهم الأذى، أن أنهي هذه المجازر، وأن أعمر معهم هذه الأرض من جديد لكن ما باليد حيلة؛ لكنني أثق في حكمة ملك الملوك وأن هذه الأرض ستتححرر في القريب العاجل فهذا وعد الحق الذي لا يخلف وعده.¹

مداعبة قاسية

لخاتم في يد شاب

يافع...

- أهو لك؟

- إنه لأخي...

¹ إسراء عماد أحمد العزوي

كانت فادية أجمل الأشياء في حياة أخي مراد، بسمه الله في حياته
التّعيّسة كما كان يقول. التقيا صدفةً في دورة الإسعافات الأوليّة التي
ينظّمها الهلال الأحمر الفلسطينيّ. كانت جميلة كأثما كلّ النساء، جذابةً إلى
الحّد الذي يمنعك من الالتفات حين تنظر إليها.

ما زلت أذكرها بوضوحٍ منذ آخر مرّة رأيتها، وجهها الأبيض الذي
ينبض بالحياة، عيناها الضّاحكتان، وحديثها الرّقيق الدّافئ، فادية تلك
الفتاة التي تمرّ في العمر مرّةً واحدة فقط، تلك الفرصة التي لا تعوّض.

كانت تجيد التّحدّث بلباقةٍ أسرةٍ مع الجميع، تستمع لحكايات أبي
في الكويت باهتمامٍ بليغٍ وتساله عن تفاصيلٍ تثير إعجابه، وتنصت لأُمّي
التي تروي حكاياتها النسائيّة عن أهلها ورفيقاتها القدامى وتتبادل
الضحكات معها بكل احتشامٍ ومرح. حتّى أنا فكانت تجيد الكلام معي،
تسألني عن جودي حبيبي، وعن المدرسة تخبرني كيف كانت في مدرستها
مشاغبةً مثلي. أحبّ الجميع فادية، ورسمت السّعادة في قلب كل من عرفها،
وما زلت أذكر يوم اشترت لأخي عماد قميص فريقه المفضّل في عيد
ميلاده، وأهدت أختي سعاد ديواناً لنزار قبّاني. أمّا أنا فكانت المميّز لديها،

ففي عيد مولدي أخذتني مع جودي إلى الملاهي لساعات، كنت أوّل مرّة أذهب إلى عالم الألعاب هذا، وسيبقى هذا اليوم أجمل أيام حياتي.

بدأت قصّة مراد وفادية تصبح أعمق بعد مراسلات مفتعلة عبر الهاتف كشفت إعجابهما ببعضهما منذ اللحظة الأولى. وبعد شهر واحد فقط رأى حبّهما التور بعيداً عن العالم الافتراضيّ، شهدت الجامعة قصّة حبّهما لعامين كاملين، وبارك الأهل خطبتهما بعد عدّة زيارات وديّة تعبق بالحبّ.

يومها ذهبنا جميعاً بسيارة جدّي - كبير العائلة - إلى مخيم البرج حيث تقطن فادية مع عائلتها، ولا أنسى كيف تعطلت السيارة في الطريق، وتأخّرنا على الموعد بعد أن تمنا في الشوارع التي تشبه بعضها. كان يوماً استثنائياً بكلّ ما فيه من مرح وفرح، أخي الكبير مراد خطب فتاة أحلامه، ودخلت السعادة عائلتنا الصّغيرة.

كان والدي يقول لمراد: "

- هذه الفتاة يا بني ستكون أمانة بين يديك، فلا تضيّعها، إنّها تحبّك، وهذا الحب لا نجده سوى مرة واحدة في العمر إذا كنّا محظوظين".

ابتسمت الحياة أخيراً لأخي مراد، وأجمل أحلامه وأغلاها صارت بين يديه، فادية حبّ العمر والمرأة التي لن تتكرّر في هذا العالم صارت مخطوبته ستصبح زوجته بعد أيّام قليلة، وخواتم العرس التي حفرت اسميهما لا تفارق جيب معطفه الملاصق لقلبه. انتصر أخي لمرة واحدة على خيباته، تحدّى الحزن وحاول هزمه بحبه لفادية وسيمحو ذكريات القهر والانكسار برابطٍ مقدّس يجمع قلبين إلى الأبد.

كان أبي رحمه الله قد اتفق مع والد فادية على موعد العرس، يوم الأحد في السّابع من شهر آب، أيّ أقدارٍ تحملها لنا التواريخ؟ وأيّ مفاجآت تقلب اللحظات رأساً على عقب. سيحمل هذا التاريخ السعيد ذكرى مختلفة تماماً، ليرتبط بمعركة الفجر الصادق، وليصبح مخيم البريج شمال قطاع غزة في يوم تحقيق الأحلام لأجمل عروسين في غزّة، مسرح مجزرة فظيعة

ستترك تحت الأنقاض سثة أبرياء لا ذنب لهم إلا أنهم يعيشون في غزّة في قبضة احتلال لا يرحم.

حفر مراد الرّكام بيديه الدّاميتين، صرخ عاليًا كالمجانين باسم فادية والدّموع تحرق عينيه البريئتين. كانت الآه تشقّ صدره، وتذبح الأمل في قلبه، كيف تموت الأحلام بهذه البساطة؟ كيف لموتٍ أن يغتال حيواتٍ كثيرة؟

تحت أكوام الحجارة والرمال وجد ألعابًا محطّمة، وصورًا ضاحكةً للحظات مسروقة من زمن الحزن. لكنّه في النّهاية وجد خيبة العمر، ها هي فادية، وجهها المبتسم كشمس الصّباح، وفستان خطبتها الأبيض ما زال يعبق بالربيع. انتهت قصّة أخي مراد وفادية، وانتهى أخي معها. فهره الحزن مرّة أخرى واستسلم للخيبات إلى الأبد، لكنّه كان يريد الانتقام لحياته الضّائعة كلّها، لملايين الصّرخات، وكلّ الضّحكات المسروقة التي لم يعيشها.

لماذا لم تكتمل فرحة أخي مراد؟ أيّ لعنةٍ تلك التي يحملها أهل غزّة؟ إنّّه الاحتلال، لعنة الحرب والموت، وقضيّة الشعب الذي يرفض نسيان

ماضيه وبيع مستقبله. هنا فلسطين، معركة الأرض التي ترفض الظلم وتكره
الظلام، والسماء التي تحب الحياة بلا قيودٍ ولا خوف.¹

لمسة كف حنونة من أم حنون، أوقفت
الخاتم عن الدوران...

- يا بني، لست وحدك، جميعنا معك، مصابكم أتى بي من مكان
سحيق، امتطيت آمال ابني وجئت إليكم كأُم جاء بها نداء أبنائها؛

فبينما غزة في أرض جهاد ورباط وقد امتلأت زواياها وجدرانها
بكل أسماء الشهداء ومُعاناة الجرحى، وما بين عائلة وأخرى إلا وقد صُنِف
أفرادها بين الجرحى أو الشهداء، وكما أن بعض العائلات قد انتهت اسمها
من السجل المدني بذهاب كل أفرادها، وحيث نتابع ونرى أحداث غزة
ومُصائبها وجراحها من تدمير وتنكيل وتشريد وتجويع وموت بالرصاص وآخر

¹ زكريّا محمد حيدر.

بالقذيفة والبعض يموت جوعًا والبعض تنتهي حياته تحت الزكام دون
إسعاف أو مُنقذ، والبعض تكاد روحه أن تنتهي وهو في سجون الظلم
والاحتلال يتجرع التعذيب وكل أصناف المعاناة، وفي ظل هذه الأحداث
الجارية التي تنكسر لها قلوبنا؛ بل وتكاد أن تنفطر ألما وحرزًا ووجعًا؛ فلا تمنأ
أن تحيا قرية وإن كانت بعيدة عن موطن غزة ولا تتمتع بالحياة وملذاتها
هنا، وهي تستشعر شعور أهل غزة بأوجاعهم ومصائبهم؛ فحين يموت
أطفالهم تموت قلوبنا معهم، وحين تُقصف منازلهم نرى أنه من الخيانة أن
نبيت آمنون تحت أسطح منازلنا منعمين بالدفء والراحة، ولم تكن أرواحنا
أن تتقيد عن الجهاد والسير نحو طريقهم غير أن غالبية الطرق مسدودة
والإمكانيات بيد أهل القوة، وإن فُتحت الطُرق ودعي داعي الجهاد لما
تقاعس مُسلمًا ذا قلبٍ حيٍ يحمل هم الأمة الإسلامية ونُصرتها، وليس
الكبار فحسب الذين يرغبون في السير نحو غزة والجهاد فيها، وتقديم
المساعدات إليهم والوقوف معهم بكل السبل الممكنة؛ بل حتى الصغار
يتأهبون لنصرتهم ويتمنون الوقوف لمساندتهم، وبذل طاقتهم كلها نحو
خلاصهم من القتل والسلب والتشريد والتجويع؛ فلقد تفاجأت ذات يوم
من حديث ابني الصغير حيثُ كنت أحاوره وأنا أذكر له واجباته المدرسية؛

فتطرقُ لسؤاله عن حلمه وهدفه حين يكبر؛ فارتفع صوته بشاشةً أريد أن أكون طبيبًا وطيارًا؛ فنفيت أن يكون له هدفين وأخبرته أن يختار واحدًا من بينهما فبدون تمهل أختار أن يكون طيارًا؛ فاستغربت من اختياره، وكيف أمكنه تحديد هذا الهدف؟ وأين الطائرات في بلادنا؟! فأحببتُ سؤاله عن سبب اختياره والدافع لديه حتى يتمنى يكون طيارًا حين يكبر؛ فأجابني في حين لم أتوقع أن تكون هذه إجابته فقال لي:

- أريد أن أكون طيارًا فأحلق في سماء غزة وأحمل على الطائرة أكل وشراب وأنزلهم إلى أهل غزة وأطفالها فلا يجوعون وأنا طيار وأمتلك طائرة وسأدخل لهم مساعدات طبية من الجو."

ومن بين اندهاشي أخذته وعانقته وأنا أشعر بالفخر فيه؛ وهو الطفل ذا ثمانية أعوام؛ فإن كان ذلك حديث الصغار وأمنياتهم، فما حديث الكبار وأهدافهم، وهنا يزيد إصراري في الفعل لأجلهم ما نستطيع فعله لأجل أهلنا المسلمين في غزة الذين تعرضوا لظلم من العدو الصهيوني المحتل؛ فزاد تضامني مع فريق مرابطات عن بعد حتى نوصل رسالة غزة وأهلها إلى

العالم أجمع؛ فيعرفون القضية الإنسانية التي خلخلت العالمين وأظهرت الصادقين من الكاذبين والمتضامنين صدقاً من المتلاعبين نفاقاً.

تالله أن يكون هناك لدينا روحاً تحشى الموت في سبيل الله؛ فلو فتحت الطريق ما تخلف راكبٌ عن مركبه ولا تعرج سائرٌ عن هدفه إلى غزوة، فيكون الطبيب مُداوياً والمهندس معمارياً في أرضها والمزارع يغرس الزيتون والمعلم يبني المدارس من جديد، والتاجر يوزع بضاعته على من فقدوا مقومات الحياة، وكلاً فيما يستطيع لأجل غزوة باذلاً ومؤدياً واجبه ما فُتح له المجال في ذلك، ولن يتوانى أو يتقاعس أهل القلوب الحية والضمائر المسلمة في نُصرة شعبنا وغزتنا الحرة؛ فهذا الطريق الذي نسعى إليه بأرواحنا ودعواتنا وإن تكبلت قيود السير نحوه والدخول والعمل فيه بما يخدمه ويعيد إعمارَه والمشاركة في النصر معهم، فإننا نقف ونصنع ما تمليه ضمائرنا ونفوسنا التي صارت غزاوية الفكر روحانية المقدس؛ فننشر الوعي وندعو ونستمر بدعائنا، والله يُجيب ذلك الدعاء الذي وقفنا به متضرعين ومتذللين له بالنصر المبين لشعبنا وإخواننا المجاهدين والمرابطين في غزوة الصادقة الأبية.¹

¹ نسبية رشاد أحمد محمد.

رشفة شاي، وكسرة خبز فلسطيني مغموس في
زيت الزيتون وعصارة العزة، شرحت صدرا فقد قبل
حين خارطة نبضه المفقود، وما استعاده إلا بالوصول
لنبع الحياة المسترجع.

- لا أدري ما كان سيحدث لي لو لم أظأ هذه
الأرض؟...

أرض الزيتون التي كسرت أغصانها، وتحولت وهادها اليانعة إلى
أرضٍ مقفرةٍ جرداء، حيث حملت صبية ما تبقى من جثمان أخيها تنوءُ
بثقله بلا حولٍ لها ولا قوة، وتترنخ بين الركام والأراضي المهشمة تنفثُ
الآهات، وأم رملت لتحضر لأولادها الجياع كيسَ طحينٍ إن وُجد لتعودَ
وتكتشفَ أنهم قد أضحوا تحت الأنقاض.

البيوتُ بِخِراجِها باتت رمادا، والسماؤُ فقدت صفاءها إثر القصفِ
والتقتيل..

خوافقُ الأطفالِ ترتجف، وأعينهم البريئة شامخة في ذعرٍ ترتقبُ
الطائراتِ الحربية التي لا تنفك تُطلقُ القذائفِ بجميعِ الأرجاء، والذي لم يمت
هناكُ بالقصفِ ماتَ بالرعبِ أو من شدةِ الانتفاضِ أو الجُوعِ...

وإذ المعضلة لم تتوقف هنا، فوحوشُ إسرائيل اغتصبوا نساء غزة في
رمضان وأمام ناظري بعولتهن وأهاليهن!

أي مجونٍ وأي فجورٍ وأي عرقٍ وحشي يملكون؟!

كنتُ أتابع أخبارَ هذا الشعبِ الصلبدِ مُحرقَة وألم، وبشعورٍ طافحٍ
بالخذلانِ والعوزِ لشعبٍ يستنجدُ ويطلبُ الماءَ كأبسطِ طلب!

احتقنَ الحنقُ بشراييني وأوداجي، ورحتُ بلا تردد أملكُ الحاجياتِ
التي قد تساعدُ ولو بالقليلِ شعبَ غزة وأطفالها الجِيعاءِ..

ولأن بلدي الصامت على مقربةٍ من الحدود، تمالكْتُ زمام أموري
وزدْتُ تشبهاً بجداولِ الثباتِ بالرغمِ من أن الولوجَ من فوقِ السياجِ العالِ لم
يكن بالأمرِ السهلِ، والحقائبِ المثقلةِ بحوزتي زادت تسليي عرقلةِ وخوفاً من
أن يتم اكتشافي، فأضحيتُ أرددُ دون توقفٍ:

"باسمِكَ اللهم أعني"

"اللهم سلم" "اللهم سلم"

كان الليل مظلماً يفوحُ برائحةِ الخطرِ وهمماتٍ مبهماتٍ بعيدة
خمنت أنها لجنودِ الاحتلالِ، جلستُ في دعرٍ أحاول التقاط أنفاسي..

واستشعرتُ جزءاً ضئيلاً من الرعبِ يقتنصُ أحشائي، حتى أن
إحساس القوةِ بداخلي بدأ يخورُ شيئاً فشيئاً، وغلفني فزع لا ينفك يعيشه
سكان غزة كل يومٍ، وكل ساعة!

بعدهما خف الضجيج قليلا، حثثُ الخطى في حذرٍ نحوَ المجهول،
أمشي في الطرقات بعشوائية أبحث عن ملاجئ الفلسطينيين المهمشين رغما
عن الظلمةِ الحالكة بالمكان..

بعد انصرام ساعةٍ أو ما يزيد، لفت انتباهي أضواءُ قناديلٍ بعيدة
قرب الدروبِ الملتوية التي وصلتُ إليها بشق الأنفس، وبعدهما صار يفصلني
عنها بضعة خطوات فقط لمحتُ ثلاثة رجال شناخف ملثمي الوجوه، وبحزام
بزتهم الحربية بنادقٍ مخيفة مثبتة جعلتني أوجس وكأنني سألفظ أنفاسَ الموتِ
الأخيرة..

وقفت في استسلام رافعا يدي إلى الأعلى، فتقدم منهما اثنين
تجاهي وركلا الحقائق.. ثم جعلوا يفتشان بغمرتها!

وبعد ثوانٍ وجيزة كشف أحدهما اللثام عن وجهه وسألني عن اسمي
والبلد الذي أتيت منه لاختلاف لهجتي الواضحة للعيان..

ثم تبين لي بعد ذلك أنهما جنديان من كتائب القسام يتناوبون
الحراسة فيما بينهم من أجل ما تبقى من سكان المخيمات الذين كانوا في
حالة يرثى لها!

كان الأسلوبُ خشناً في البداية من طرف الجنود، وفور ما علموا هويتي تحول أسلوبهم في الحديث إلى نبرة نقية لا غباش فيها، وعبارات الشكر الهائلة التي انبعثت من أفواههم وسكان المخيمات أشعرتني بالحنج الشديد من نفسي وكأنه تفضل مني!

- بل أنا من يجب عليّ شكركم وشكر الله الذي يسر لي سبل الذهاب إليكم.. إلى فلسطين!

قضيت هناك ثلاثة أيامٍ تعرفت فيها على ذلك الشعب الطيب المرابط، وحز في خاطري بنفس الوقت الظروف السيئة التي تكالبت عليهم وأحوالهم التي تبكي الشجر والحجر والجماد، والذي زاد خافقي تبصرة صبرهم الكبير، وترديدهم لجملة " الحمد لله على كل حال " بعد كل بلاء، وروحهم المعقودة بكتاب الله..

وأقسم لكم أنه لو كان الصبرُ بشراً حقاً.. لكان أهل فلسطين!¹

¹ آية طريب.

لحظة صمت ...

صوت هادئ محتشم أفاق:

- النصر صبر ساعة ...

يااااه

من كان يحسب تلك الساعة تمر في حينها دهورا، ونشعر

الآن بفواتها كلمحة؟

لقد نمنا طويلا، وعدنا أخيرا،

كمن أماته الله مئة عام ثم بعثه،

كنت بعيدا عن فلسطين، في أبعد نقطة من وطننا العربي، لكن

قلبي وعقلي ما انفصل عنها، أنا ابن المرابطين، وحفيد من لبوا نداء صلاح

الدين، كنت أقول في نفسي: ليت يخرج من بيننا صلاح دين جديد،

ويخصصنا بالنداء لنصرته.

رأيت...

في فلسطين الأبية، رجالا يحبون الموت كما يحبون الحياة، لأن كل يوم وكل لحظة تمر، فهي تخفي وراءها مئات اللحظات التي تحتزل سنوات من الحصار والاعتقالات والضيق والقتل المتعمد مع سبق الإصرار والترصد...

عاش عدونا - جيش الاحتلال الإسرائيلي - صباحا مرعبا مدمرا،
أضحت صفارات الإنذار مدوية في كل مكان داخل الكيان العاشم.
أما أنا هنا في المغرب، قمت بتشغيل التلفاز صباحا، وأول خبر
أتلقاه من لدن قناة عربية:

- المقاومة الفلسطينية تكبد جيش الاحتلال الإسرائيلي خسائر
فادحة على جميع الأصعدة، وقد تمكن المقاتلون من الوصول إلى قلب
المستوطنات. وأصوات الرصاص والقذائف في كل مكان تنهوى فوق
رؤوس الأعداء.

إنه طوفان الأقصى الذي أسعد العالم العربي وانتصر للأمة الإسلامية التي لا حول لها ولا قوة، سوى الدعاء لأهالينا وإخواننا في غزة.

لكن الاحتلال الصهيوني لم يتوقف عند الحد المعروف عليه بالجرم، بل تجاوزه إلى قصف المستشفيات والإدارات وقتل المدنيين بشكل عشوائي، وقتل الأطفال والنساء والصحفيين وعائلاتهم...

فكانت المقاومة ترد الصاع صاعين، لما تطلق صواريخها نحو أماكن تواجد جنود الاحتلال فتسقطهم قتلى وجرحى.

وهذا الإعلام العبري والغربي بكل مكوناته ينشر أكاذيب يصدقها هو وأتباعه، فيأتي مفهوم مسافة الصفر ليزعزع آليات الاحتلال وأطقمها، حينها يضع مقاتل "القسام" عبوة ناسفة داخل دبابة فتنفجر ويردد:

- الله أكبر والله الحمد.

انتظر "أبو عبيدة" كل يوم أن يطل بين الفينة والأخرى، يذكرنا بما حققه المقاتلون في المعارك،

ليختم قوله ب: "وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم"

وما هي إلا أيام حتى بدأ المثلث الأحمر يظهر في الأفق، يعتلي
صهوة الدبابات والآليات الإسرائيلية ويقف شامخا فوق رؤوس جنود
الاحتلال، فيتم تدميرهم بقصف صاروخي أو بمسيرات تحمل طابع صنع في
غزة.

أليس المقاتل الذي يختار مكانا استراتيجيا يحقق فيه أهدافه وهو
حافي القدمين، بأسلحة يدوية بسيطة. أكثر قوة وذكاء من جندي يرتدي
بزنه وقبعته وأجهزة الحماية والمراقبة والرادارات التي لا تكاد تفارقه، فيقع
أسيرا أو يُقتل من طرف مقاتل "قسامي" فلسطيني؟

والدليل على ذلك، حاملات الطائرات الأمريكية التي جاءت
لتنحاز إلى الجانب الظالم، إلى جانب المستعمر لتقدم له المساعدة.

كل هذا يهون أمام صبر ورباط المرابطين الصابرين هناك، في
المعارك الضارية جنوبا وشمالا، شرقا وغربا.

داخل الأنفاق وخارجها، وفي المساحات والجبهات المفتوحة
والمغلقة باختلاف المسافات والأهداف...

منذ السابع من أكتوبر من العام 2023 امتلأت المستشفيات والمخيمات التي تأوي النازحين جراء الحرب، ولم تسلم هي الأخرى من بطش الأعداء، فقد تعمدوا اقتحام مستشفى "المعمداني" بعد تفجيره ظنا منهم أن مقاتلي الفصائل الفلسطينية المقاتلة يختبئون بداخله، وما تبين بعد ذلك ما هو إلا مسرحية من تأليف جيش الاحتلال الإسرائيلي غير مركبة الأحداث ولا تناسق في المشاهد.

"ولن تكون غزة إلا كما كانت من قبل مقبرة لغزاتها"

لأن كل من تعمد ظلم الأهالي تصله لعنته ولو بعد حين، فقد يخرج منها مقتولا محملا في سيارة إسعاف، أو مصابا بأمراض نفسية، ولن تكون غزة معزولة، ستبقى "جباليا" في مكانها، كما "الشجاعية" و"خانيونس" و"دير البلح" و"رفح"... لن يتم طمس الهوية الفلسطينية من قبل هوة التزوير التاريخي للمدن، فكما توجد غزة فوق الأرض، توجد غزة أخرى تحت الأرض، داخل مئات الكيلومترات من الأنفاق التي تشبه في تصاميمها منازل مصممة بدقة، وإن تم اكتشافها من طرف جنود

الاحتلال، يفتخها المقاتلون، وتصبح كميناً يقع فيه الجنود الخائفون المهمشون. فتسحب كتائبهم كلياً ولا تستطيع إعادة ترتيب أوضاعها.

كنت في المغرب، في بلدي، لكن لم أقف مكتوف الأيدي، نظمت حملة لجمع التبرعات خلال شهر رمضان، لمساعدة أهاليينا في فلسطين، المستضعفين الذين يموتون جوعاً وعطشاً وقصفاً ودماراً، كان الله لهم عوناً ونصيراً، لتبقى فلسطين حرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.¹

- وكيف وصلت إلى هنا؟

نظر مصطفى لصديقه حسن مبتسماً:

- احك لهم أنت عن رحلتنا

من برد برشلونة إلى جحيم غزة؛

¹ مصطفى الخراز.

-... ذات ظهيرة من برشلونة الباردة، أرنو إلى الأفق البعيد، هناك تُرسم في ذهني صورة غزة الممزقة، أراها غارقة في الدموع ومُحاطة بظلام الغزاة. ونحن هنا في صمتٍ مُطبق، كأنّ ألسنتنا قد عُقدت، وكأنّ حناجرنا قد حُنقت إلا بعض من يتمم كلماته على شيء من الخوف.

في بيتٍ أعمدته الإيمان، تحت سماء مليئة بنجوم الأمل، أُقرر الرحيل رغبةً في مدّ يد العون، مُحاولاً تخفيف وطأة الظلم، باحثًا عن طريق آمنٍ للوصول إلى قلب المعاناة. حملت حقيبة عزيمتي الحديدية معي وإيماني الصلب بقضيتي.

كانت الرحلة إلى فلسطين تمتد بأفق بعيد، وكانت تحمل معها تحديات لا تعد ولا تحصى، لكنني كنت مستعدًا لكل التضحيات من أجل تلك الأرض الخصبة التي تتداعى على ضفاف وديانها الهادرة وتترنح تحت أطراف جبالها الشاخنة.

هناك تعرفت على مصطفى في مطار القاهرة، واكتشفت من
حديثنا المطول أن هدفنا واحد.

عبرنا صحراء سيناء القاحلة، تحدّينا الأوعال الشريدة وصعابًا
عجزت ألسنة الوصف عن رواية فصولها. بعد أن تجاوزنا كل عقبة وتحديّ،
وصلنا إلى حدود غزة الحبية التي تُراقبها عيونُ حراسة العدو بكل حذرٍ،
لكنّ إرادتنا كانت أقوى من كلّ عائقٍ؛

وافترقنا لئلا يكون أحدنا سبب هلاك الآخر،

كنتُ أسلّ خطواتي في عتمة الأنفاق، أخفي جسدي عن عيون
المحتلّ الغاصب. كلّ خطوةٍ أقترّب فيها، تُلهبُ قلبي شوقًا وحينئذٍ، وتُنعشُ
روحي إيمانًا بالنصرِ القريبِ.

عند بلوغي غزة، رأيت الدمار بأم عيني، سمعت صرخات الألم،
شممت رائحة الموت. كل العيون كانت مُشرّبة نحو السماء، وكل الأذان

مُتوجسة لكلِّ صوت. لا حركةٌ ولا صوتٌ، سوى دقاتِ قلوبٍ تُخفقُ خوفًا،
ودموعٍ تُسكبُ في صمت. تبدى لي كأنَّ العالمَ قد توقفَ عن الطوافِ حول
كعبةِ نفسه، وكأنَّ الزمنَ قد تجمَدَ في مكانه.

على شعابِ غزة، وقفت شامخًا أتحدّي الغزاة، وأرسم لوحه شجاعة
تخلدُ حبًّا لا يُقهر رغم دوي المدافع وضجيج الرصاص. بخطوات ثابتة
ووثيقة الإيمان كنت أقدم للأبرياء قطعةً من لحمي وقطرات من دمي،
أشاركهم آلامهم، أحارب معهم من أجل الحرية، أنير معهم شعلة الأمل في
عتمة الظلم.

رغم إدراكي التام بأنني مجرد قطرة في بحرٍ من المعاناة، لكنني كنت
أؤمن أنّ كلَّ قطرةٍ تُحدث فرقًا. واصلت مسيرتي، وحاولت أن أكون رمزًا
للبطولة، ونبراسًا للرجولة يُلهم الأجيال القادمة بقصة حبٍّ للعروبة بلا
حدود، وأقدم درسًا في الإخلاص والبذل وأثبت بأفعالي أن الحب للوطن لا
يقاس بالكلمات، بل بتضحيات القلوب الشجاعة.¹

¹ حسن يارقي.

فتحت عينيّ بعد غيبوبة وفي غفلة عن السبب، وجدت نفسي
داخل مستشفى مكتظ بالأسي، حيث لا يعرف أحد أحدا، لكن بطاقة
هويتهم واحدة: فلسطيني؛

لم أكن أعرف أحدا ولا يعرفني أحد، إلا أن الأقدار قادت
مصطفى إلي، والتقينا هنا من جديد.

رفقة من عالم آخر جاء بها القدر من عدم،
صاحبت مجلسنا ثم اختفت بعد أنمت حديثها الحالم...

اسمي صابرة وموطني الأصلي هو أرض النور، وهي تقع عند
الأطراف المتزامية من العالم. هي أرض فاضلة، شمسها لا تغيب ولا يأتي
عليها الليل ولا تعرف الظلام. أهلها طيبون ومتفائلون للغاية، يلمون دائما
بعالم أفضل وهم مسلمون، لا يجيدون العداوة والبغضاء ولا يشنون حربا؛

إنهم لا يعرفون الانتقام لكنهم لا يترددون في إشهار أسلحتهم في وجه أي مغتصب لاسترداد الحق ورده إلى أصحابه.

إنهم مصابون بلعنة منذ ولادتهم وهي لعنة الإحساس والشعور. لديهم حساسية مفرطة تمكنهم من استقبال إشعاراتٍ كونيةٍ تعطيهم قوة هائلة على الإحساس. فيقومون بتبني مشاعر الألم نيابة عن المنكسرين والحزاني والمظلومين والمقهورين والشكالي أينما كانوا، وكأن هذه هي مهمتهم الأساسية في الحياة؛ يُساورهم هاجس دائم بضرورة الهجرة إلى الجانب الآخر المظلم من العالم لمد يد العون للمظلومين وتخفيف معاناتهم وآلامهم.

جئنا إلى هنا فرادى ونحيا في شتاتٍ متباعدين. وجدنا الجميع لاهايا في حفلةٍ تنكزيةٍ صاخبة، يرقصون وكأنهم مصابون بمسٍ شيطانيٍّ يجعلهم غير مباليين بأنين المظلومين والمقهورين، فتعلو أصوات حناجرهم ومعازفهم فوق صراخ الشكالي واليتامي والمشردين.

كلما ازدادوا صخبًا، كلما ازددنا نحن صمتًا. كلما ازداد صمتنا كلما ازدادت رغبتنا في الانعزال. لكننا عندما ننفرد بأنفسنا نستطيع أن

نسمع بوضوح تلك الاستغاثة التي تأتي فتشق جدار الصمت في وجداننا
فيتصدع، ثم تسمح للحزن أن ينتشر في شرايين قلوبنا نشرًا.

هذه الاستغاثة قادمة من أرض العزة، أهل هذه الأرض يعانون من
الظلم والقهر منذ عقود على يد جيوش من طيور الظلام الجارحة. لقد
سُلبت أرضهم وقُتلَ شيوخهم ونسائهم وأطفالهم على مرأى ومسمع من
الجميع، ثُمَّ سُجِنُوا بسجنٍ جماعيٍّ ضخمٍ وعُزلوا عن العالم كله والكل يقفُ
ساكنًا بدون حراك.

لم يعد يجدي تجاهل صوت ضمائرنا الذي يصرخ من ألم جلدات
سوط التأنيب. فكان علينا نحن قوم النور أن نلبي النداء.

بميعاد معلوم ينهلُ قومي من كل فجٍ عميقٍ إلى أرض العزة لإنقاذ
أهلها واسترداد أراضيها المسلوبة.

منهم من سيأتي بحرًا مستقلًا قوارب الأمل ثم يُبحرُ باتجاه شاطئ
بحر العزة. ومنهم من سيأتي برًّا ممتطيا جيدا مجنحة. ومنهم من سيأتي جواً
محمولاً على ظهور طيورٍ من نورٍ تحمل بمناقيرها سهامهم من سجيلٍ.
سيجتمع الجميع هناك عند بوابة أرض العزة.

بوابة العِزّة بوابة عريقة وعملاقة وهي تُعْتَبَر المُعْبِر الوحيد لأرض العِزّة. سيصلون عندها ويقرعونها، سأكون أنا هناك بانتظارهم وسأفتحها على مصراعها ليدخلوا أرض العِزّة ويحرروا أهلها من قيود الطغاة المعتدين.

وصلتني إشارة كونية تخبرني بمصدر ذلك الصوت المبحوح من شدة الألم. امتطيت جوادي لتبدأ رحلتي إلى أرض العِزّة.

فاتجهت إلى درج قلعتي المتجه إلى الطابق السفلي من القلعة.

ثمّ قادني إلى مخرجٍ سريٍّ لا أحد يعلم به إلا أنا... لما وصلت إليه اكتشفت أنه يسمح بالخروج فقط. كان مكتوباً عليه: من يغادر أرض النفاق لن يعود لها مرة أخرى. فور خروجي منه وبسرعة فائقة انغلق ذاتياً بواسطة بابٍ صخري يشبه باب مغارة. فانطلقت أنا دون تفكير بجوادي في ممر معتمٍ لتتبع الصوت، وفي نهاية الممر بدا الصوت أوضح وأعلى.

أول ما خرجت من الممر صُعقت من هول الصدمة!! ياله من دمارٍ شاملٍ!! شهدت أشلاءً لأطفال صغار ونساء وشيوخ ورجال منشورة في كل ركنٍ من أركان الحي، رأيت ركاما وأطلال المنازل تقف مكسورة وكأنها تنزف دمًا بعد أن شهدت بما فعله طيور الظلام الغابرة بسكانها. أما

أشجار الزيتون المسالمة فرأيتها تحفف دموع الحسرة بأغصانها المحترقة ولا
تدري ما ذنبها لثقتلُ من جذورها وتُحرقُ.

ثم إذا بي أسمع تلك الاستغاثة تأتي من تحت الأنقاض والتي بدت
وكأنها على وشك الاحتضار.

أسرعت نحوها وقلبي يرتجف، وناديت:

- من هنا؟

فجاءت الإجابة بصوت طفلة صغيرة مُجهدة:

- "أنا... عِزَّة!!"

سألتها:

- هل معك أحياء يا عِزَّة؟

- كلا، أستشهد الجميع ولم يتبق إلا أنا.

بدأت فورًا بالحفر بكل قوتي لأنقذ هذه المسكينة من الموت، بعد
دقائق استطعت أن أصنع حفرة صغيرة في الحطام، ثم مددت يدي وناديتها:

- أمسكي بيدي يا صغيرتي!

مدت يدها الصغيرة المغطاة بالغبار، فبدت عروقها جافة من الجوع والعطش. فأمسكت بيدها وسحبته بقوة إلى خارج الحفرة. فخرجت عزة لترى النور مرة أخرى بعد شهور قضتها وسط أشلاء أسرتها في الظلام الدامس.

أجلستها بجانب لبرهة حتى تلتقط أنفاسها المتسارعة، ثم ناولتها كوبًا من الماء لتروي عطشها؛ كانت ترتدي شماغًا باللونين الأبيض والأسود، أضفى على ملامح وجهها الصغير بتعبيراتٍ يغلفها مزيج من السلام والمقاومة والصمود. أما نظرات عينيها كانت تشبه نظرات لسيدة مُسنة بالسبعين من عمرها تغمرها لمسات من الحكمة والقوة والذكاء.

مسحت دموعها بشماغها وهي تتفقد نظراتي لها، ثم نظرت إليّ في تعجب وقالت:

- هل أتيت وحدك؟ أين بقية القوم؟

أجبتها:

- إهم قادمون!

ثم أمسكت بيدها وقلت لها:

- هيّا بنا

- إلى أين؟

- سنذهب لنفتح بوابة العزة لأهل النور.

نظرتُ إليّ قائلة:

- مهلاً! أنا لن أترك داري ودار آبائي وأجدادي،

إما استردادها أو نيل الشهادة.

فنظرتُ إليها برفق وقلت لها:

- تعالي معي وأعدك أننا سنعود جميعاً متحدين

على قلب رجل واحد، لا لنسترد دارك ودار آباءك وأجدادك

وحدها، بل لنسترد الحي بأكمله.

شعرتُ بومضةٍ أمل توهجت فجأةً بوجه عِزّةٍ فوافقتُ أن تصحبني،
ثم انطلقنا باتجاه بوابة العِزّة، أنا وهي نطوق شوقًا للحظة وصول جنود أرض
النور، ربما يصلون بعدة عدة أيام أو شهور أو سنين لكنهم سيأتون إلى
أرض العِزّة وسيحررونها من آثار الظلم والعدوان.¹

لمع نور ساطع النقاء في أجوائنا
فمسح كل حزن وحسرة بقلوبنا بشكل
عجيب! استسلمنا للابتسام مستبشرين وكأن
الزمن مر بنا ونحن جلوس...

وفي مقعدي، نظرت للأفق الواسع وأنا أبحر بعيني نحو خريطة
الأمّل، أرى خيوطًا من ضوءٍ تتشابك في أرض الوعد، ترسم طريقًا مضيئًا

¹ تهاني عزب.

للعودة، وعودة ليست مجرد رحلة جسدية، بل عودة للهوية والكرامة
المسلوبة، وعودة للأمان والسلام المنشود.

بين ضفاف الواقع وخيال الطفولة، تتلون صور فلسطين في
ذاكرتي، كلما اقتربت اللحظة، يتسع الفضاء ليستقبل الأمل والألم معًا، كلما
ازدادت الحماسة في قلبي، تنبثق ذكريات الأجداد كالنجوم المتألقة في سماء
الليل، تحكي قصة شعبٍ جاهدٍ من أجل حريته وكرامته المسلوبة.

وبينما تشدو أناشيد الصمود في أرض الأقصى، أتساءل كيف
يمكنني أن أكون جزءًا من هذه الحكاية؟ كيف يمكنني أن أساهم في بناء
جسر من الأمل يعبر به أهل فلسطين نحو مستقبلٍ أفضل؟

رحلتي لن تكون مجرد سفر بين مدن ومواقع سياحية، بل ستكون
رحلةً لاكتشاف الحقيقة المدفونة تحت الأنقاض، والتعرف على قصص
البطولة والصمود التي تزهر في كل زاوية من زوايا الأرض المقدسة.

ستكون يدي ممدودة لمن يحتاجون، قلبي سلاحني لنشر قصصهم
ونداءهم للعالم، وقلبي مأوى لأحلامهم المكبوتة، فأنا لا أستطيع أن أغادر
فلسطين دون أن أخلص لها العهد بأن أكون صوتهم في كل مكان.

فلسطين، تلك القصيدة الحية التي لا تنتهي، حيث يلتقي فيها
الأمل بالصمود، والفرح بالحزن، والحياة بالموت، فأبي حكاية أجمل من
حكاية الأرض التي تتنفس بكلمات الحب والصمود؟

وهكذا، سأمضي في رحلتي وأنا محملة بقصة فلسطين، قصة تجمع
بين الواقع والخيال، وبين الألم والأمل، وستبقى قصتي تنادي بالعدل والحرية،
حتى يشرق فجر الحرية في سماء فلسطين، وتعود إلى أهلها كما كانت، حرّة
مستقلّة، تتلأأ في عمق الزمان والمكان¹

¹ خولة أبت بطل.

وحل فجر جديد...

وآن الأوان لنصلي في باحات المسجد الأقصى حاملين رايات
النصر والعزة... صدقت أيها المثلثم:

إنه لجهاد نصرٌ أو استشهاد...

وها قد صار ما شاء الله أن يكون.

كنت منذ العاشر من أكتوبر أبحث عن مكان أختبئ فيه، لا
مكان آمن، كل البيوت والأحلام مدمرة، لا حياة هنا... أتى الأشرار على
الحجر والشجر والبشر وما تركوا من أثر، كنت أقول في نفسي:

- هل سأنجو اليوم كي أروي قصتي غدًا؟

كم مرة سأنزح بعد؟ وكم من خيمة ستحتويني؟

أذكر في صباح ذلك اليوم نفسي وأنا تحت الرُّكام، لا شيء سوى
الخوف والعجز، كنت أسمع أنين أمي هنا وأصوات صراخ هناك... حاولت
جاهدة إغماض عيني بعدها، لم أظن وقتها أنني سأكون الناجية الوحيدة من
بين عائلتي!

تمنيت لو أنني ذهبت للجنة معهم، لكن تحتم عليّ البقاء، ربما
للحكمة من الله؛ استيقظت بعدها وأنا مجبرة، رأيت مالا يخطر على بال
بشر، كنت أعتقد أنني في كابوس وأن هذا كله سيتلاشى، والصدمة هنا
حين أدركت أنني خسرت أهلي وبيتي وحاجاتي وكل حياتي!

إنه لبئس الأمر!

لكنني لم أجزع ولم أملّ عن الصمود، فهذه أرضي، أرض الجبارين،
غزة العزة...

كان هذا اختصاراً لقصص بطولة وفداء وصبر وعزة، وأنا معهم
كإحدى الفتيات الناجيات، لكن قصتي بدأت بعد قصصهم...

كتبْتُ آخرَ حروفٍ فيها وأنا أتأمل السماء الخالية من الزنانات،
أرى النجوم وكأنها المرة الأولى، أغلقت مذكرتي وأنا أحذق بإعجاب بهؤلاء
الناجين الأبطال الذين التقيتهم في منزل أبي عماد... تلك الهالة من النور
والسرور المنبثقة من وجوههم حاكت نور هذا الفجر، ربما تخالجت مشاعر
الحزن والفرح في تلك الليلة، الحزن أنني سأفارق غزة وتلك الفتاة وكل الألم
والدمار هنا، والفرح لأنني حضرت بزوغ الفجر والنصر. أرى الكل على
قدم وساق يكس رماد الشر، وبين الركام والحطام تطل أزهار برية أنبتها
الربيع عنوة لتعطي أملا صامدا لمستقبل زاهي.

كنا نتحدث عن مسيرتنا بعد النصر وعن أحلامنا التي سنكملها
وكيف سنعيد إعمار غزتنا بالحب والحياة، كنا نجلس أمام النار التي أشعلها
لنا أبو صلاح والشباب ليلة أمس، تحدثنا وضحكنا ولملمنا جراح بعض
الشبان من غزة ممن كانوا معنا طوال رحلتنا، بكينا هنا وابتسمنا برضى، ولم
ولن ننسى هذه الحرب التي كانت سببا رئيسيا في تمسكنا بأوطاننا وأصولنا
وأحلامنا وبعضنا البعض، بالرغم من فقداهم الكثير إلا أنهم ما زالوا يملكون
العزة والكرامة.

أشرقت الشمس علينا بعد ليلة كانت الأخيرة من الحرب، تجمعنا
كي نسير في طرقات مختلفة، وربما كان طريقنا قبل ذلك إلى المسجد
الاقصى، إنه الوحيد الذي لمّ شملنا إليه ... أمسكنا أيدي بعضنا البعض
مستبشرين فرحين، سنصلي صلاة لن ننساها أبداً، ربما ستكون من أعظم
وأفضل المرات التي سنصلي بها صلاة نصر وكرامة...

نسيت أن أقول لكم، أن "شامة" الناجية الآن متزوجة، من عمر؛
وبطلوع الفجر الجديد سأنشر هذه الرواية، كي لا ننسى قضيتنا الأولى
والأخيرة، قضية الحرية.¹

ولا ننسى أن أي طريق نسلكه بنور الإرادة والأمل يوصل لنور
الفوز والنصر والحمد لله قد كان نصراً عظيماً...

... انتهى

¹ راما الملاحي.

ملاحظة

ما كتب بخط مضغوط هو للربط بين القصص، من تأليف المنسقة
للأحداث.

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا - في محاولة منا لتغذية شريان الثقافة - نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايين من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشر أعمالها بين القراء والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.



المحتويات

6	الإهداء
11.....	تنويه
13.....	لمحة
15.....	بداية
105.....	ملاحظة

الطريق إلى غزة الفجر الجديد

غزة... واغزة... علمتنا أن الحياة مهما صعبت في عيوننا، فستبقى الصعاب هينة ما دام الأحياء بخير، ومهما انكسر فينا من قسوتها علينا فهي بريئة براءة الصفحة البيضاء تعبرها رياح البشر والقهر، تنتفض وتعود لمستقر لها، نستظل بسقف بيتها وننعم بالدفع والأمان بين جدرانها، وهذا الحيز هو كلالها، وفقدان بعضه أو كله تلاش لها؛ قد تتغلب الرياح العواتي على ورقة الحياة، لكن مهما انتفضت وتبعثر ما فوقها من سطور، ستجد لها قرارا حتما.

يد الله ممتدة بحكمة توجهها، لكن الأم أحيانا متعمدة تحب رؤية الإخوة يسارعون لمدّ أيديهم وإمسك أطراف الورقة وتقريبها لأخ لهم، طارت من بين يديه بعد انقراض، وما أسعد القلوب بأخوة من إزاء.

السابع من أكتوبر من عام ٢٠٢٣، سطر أحرفا لفصل جديد في الحياة، رغم زوابع الشر التي قضت المضاجع واستنزفت الأرواح والمشاعر، أبت السطور إلا استقرارا من يقين بتاريخ الإنسانية، يقين في أن سنة الحياة التبدل، وإن الإنسان مخلوق لا يفهم معنى المستحيل، لأنه من طينة بقدر ما ضغطتها فاح ريحها الحقيقي وضقل فكرها المغطى ولمع إيمانها الداخلي وارتفعت قيمتها بين العالمين.

غزة... غزة... نحن في الطريق إليك، مهما رسموا من خطوط ورفعوا من حواجز، نحمل نبضات قلوبنا عليها تطيل أعمارك، وزفرات آهاتنا عليها تسمعك ضمائرنا التي أحبيتها بعد ركود، نحمل إليك رسائلنا على أجنحة السلام، وداخل كل ظرف بارودا يفجر حقيقة أخوتنا مهما عصفت بها المكائد والأغلال.

غزة... غزة... اجتمعنا لنحكي لك خطواتنا نحو عذك، فتقبلي نارنا المتقدة قربانا لنصرك، فلن نطفئها حتى يبيغ الفجر ونراك كما شئت لك صفحة الحياة.

سهير لقماري

الطريق إلى غزة

الفجر الجديد



Instagram: @bassmabook
Facebook: bassmabook
Twitter: bassmabook
LinkedIn: bassmabook
Phone: 00212771814934
Email: darbassma1@gmail.com



ملفني كتاب حول العالم
PUBNI WRITINGS AROUND THE WORLD